الجهود التفسيرية للملا ذنون البدراني

pp. (64-87)

م.م. فاضل يونس حسين البدراني
جامعة الموصل- كلية العلوم الإسلامية- قسم أصول الدين
Fadl_hosen@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2015/04/12
تاريخ القبــول: 10/ 2015/06

الملخص
هذا البحث يركز على شخصية نال من البروز والشهرة المكان اللائق في مدينة الموصل. ألا وهو الشيخ الملا ذنون يونس البدراني الموصلي.
والبدراني علَم معروف في العلوم الدينية/ الشرعية- علوم القرآن والتفسير.. ولديه جهود كبيرة على نحو واسع في هذا المجال. وهو لم يؤلف كتابا، لكننا نستطيع أن نرى جهوده الطيبة من خلال عدد من تلاميذه البارزين، الذين سلكوا طريقه فنشروها في كل مكان.

الكلمات الدالة: التفسير، الجهود، الملا ذنون.

مقدمة

أحمدك اللهم ربنا حمد الشاكرين الذاكرين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، ربنا، ليلَ نهارَ صباحَ مساءَ، على مرِّ الدهور والأعوام، وعد الليالي والأيام، والصلاة تتابعُ تترى على خير الأنام، ومصباح الظلام؛ سيّدنا محمّد؛ النّبيّ الرئيس الإمام الهمام، وعلى آله الخيرة الطيبن الكرام، وصحبه البررة الصادقين العظام الفخام، والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الزّحام. صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ تسليما كثيرا طيّبا مباركا فيه كما يحبّ ربّنا ويرضى.

اهمية البحث:

هذا البحث يكشف النقاب عن علَم من أعلام الموصل الحدباء ملأ طباق الأرض في أرجائها علما ومعرفة، وصدح بالحق من على منابرها لا يخشى في الله لومة لائم، وجلس على كرسي الأستاذية في المساجد التي عمل فيها؛ يحاضر ويقرئ ويدرس ويعلم ويفتي ويجيب ويعظ فيشفي غليل السائلين والمستفتين وطلبة العلم وعشاق الحقيقة. ومن ثم أصبحت تلامذته الذين نهلوا من علمه مشاعل نور من بعده تنير الدروب للناس في ظلمات الجهل الوخيم. ذاكم هو الشيخ أبو عمار ذنون يونس البدراني الموصلي- رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ولنا.

مشكلة البحث:

فيما يتعلق بالمصادر فإنها قليلة جدا لا تعدو أن تكون أسطرا بين طيات بعض الكتب أو الدوريات، لكن تلاميذه موجودون والحمد لله وقد أفادوني فيما ابتغيت فاستحقوا مني جزيل الشكر، وجزاهم الله خيرا عني وعن شيخهم، كما أن الأستاذ أحمد يونس البدراني؛ شقيقه لم يألُ جهداً في رفد البحث بما يحتاجه. رفع الله رتبته ومنزلته في الدارين، ومما ينبغي أن لا يغفل عنه أن الأستاذ أحمد كان قد أفرغ شريطا سجل عليه محاضرة في تفسير سورة... ولكن التسجيل تم بصوت رديء جدا وضعيف، فسعى مرات في معالجة الموضوع بالاستعانة بأهل التسجيل، ولكن لم يتم ذلك حتى الساعة. كما لم يتسر لي الاطلاع عليه أو الاستماع مع كثرة زياراتي له وكثرة لقاءاتنا، والله نسأل السداد والتوفيق.

خطة البحث:

أما خطة البحث فقد ضمت: مقدمة فتمهيدا ثم مبحثين؛ الأول، عن حياة الشيخ، وجهوده العلمية، والثاني عن جهوده التفسيرية. ثم خاتمة البحث مع نتائجه فالمقترحات ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

ومما يجب أن ينبه إليه الباحث أن مجلة زانكو فرضت تعليمات خاصة في ذكر المصادر والتوثيق، من ذلك مثلا الاكتفاء باسم المؤلف من غير ذكر اسم الكتاب وهذا ما جرى عليه العمل إلا مرة واحدة حين اشتبه الاسم مع مؤلف آخر وهو الغزالي، د. احمد بخيث. لذا ذكر بتمامه تمييزا عن حجة الإسلام الإمام الغزالي وعن الشيخ محمد الغزالي المصر ي.
والله أسأل أن يجعل العمل هذا خالصا لوجهه الكريم، لا أرجو به سوى مرضاته لتكون في صحائف حسناتنا في سجل أعمالنا؛ حركاتنا وسكناتنا {يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}، {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}، {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، إنه سميع قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

إن الموصل الحدباء مدينة العلماء لتزهو وتفتخر بعلمائها ومفكريها في كل عصر من عصورها، وقد حباها الله سبحانه وتعالى، بحلقات العلم العامرة الكثيرة في مساجدها الزاهرة المنيرة فضلا عن المدارس الملحقة بها أو المستقلة عنها، وذلك منذ دخول أهلها الإسلام وحتى يوم الناس هذا، بل في أقسى الظروف التي مرت بالبلد.. ومما ينبغي أن يفخر به كل موصلي تلك الحلقات الزاهرة التي لم تنقطع ولن تنقطع بإذن الله، مما ميزها عن أخواتها وأترابها من المدن الإسلامية في بلادنا العربية، ولا تزال والحمد لله تخرج علماء يملؤون العين تقديرا وتبجيلا. وامتازت الموصل أيضا بميزة الأصالة مع المعاصرة، فاحتفظت بأصالتها ولم يمنعها ذلك من مواكبة التقدم العلمي، ومن الاستفادة من الدراسلات الحديثة خاصة في الحقل التجريبي والدراسات الجامعية التي وفدت إلينا من الغرب إبان القرنين المنصرمين.. بمعنى أنها دمجت بين نوعي الدراسة؛ الجامعية والجوامعية، وكان من وصايا أستاذنا فضيلة الشيخ الدكتور فيضي الفيضي [1] لطلبته (كونوا جامعيين وجوامعيين). وكانت الحصيلة أنك تنظر فترى العمائم البيضاء اللامعة تملأ المساجد والجوامع والجامعات والكليات والمعاهد والمدارس الإسلامية وغيرها، وأكثرهم من حملة الشهادة العليا.

ليس ما ذكر كافيا في مزايا موصلنا الحدباء، بل إنها احتضنت عددا من العلماء الذين لم يمنعهم فقد أبصارهم من ممارسة العلم ومزاولته فضلا عن طلبه.. فكم وكم من عالم ضرير علا شأنه في الموصل. من أولئكم العلماء الكبار الأفذاذ ذلك الشيخ الضرير الملا ذنون يونس البدراني الموصلي. نعم. وهذه الوريقات تسعى لبيان ما له من منزلة علمية ومكانة رفيعة في المجتمع الموصلي، وتوضح جهوده العلمية عامة والتفسيرية خاصة.

هذا أوان الشروع في الحديث عن معنى الجهود التفسيرية.

تعريف الجهود التفسيرية:

الجهود التفسيرية مركب من كلمتين تركيبا وصفيا من موصوف بعده صفته ونعته، ولمعرفة المراد منها يجب تعريف جزئيها على انفراد.

أولا: تعريف الجهود:

فالجهود جمع جهد، والجهد في اللغة هو: من مادة (جهد) التي تدور على بلوغ المشقة بسبب السعي والعمل، ورد في بعض المعاجم: جهَدَ يَجهَد، جَهْدًا، فهو جاهد، والمفعول مجهود (للمتعدِّي)، جهَد الشَّخْصُ:

1. جَدّ وبذل غاية وسعه "جهَد لينجح" لم يَأْلُ جَهْدًا: لم يُقصِّر.
2. سعى حتَّى وصل إلى الغاية "سعَى جهدَه لمساعدة والديه".
3. بلغ المشقَّة "عمل حتى جَهَد".

جهَد خادمَه: حمّله فوق طاقته، أتعبه "جهده المرضُ/ الحبُّ. (عمر، 2008، ج1ص409)

بمعنى أن الجهد: التعب والمشقة والإعياء.

وجاء فيه أيضاً: جَهْد [مفرد]: ج جهود (لغير المصدر). نعم لأن المصدر لا يجمع حسب القواعد:

1. مصدر جهَدَ.
2. وسع وطاقة لم يدّخر جَهْدًا في سبيل سعادة أبنائه- الجهود المبذولة لدفع عمليّة السَّلام كثيرة- {وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جَهْدَهُمْ} [ق] " ° بذَل قصارى جَهْدَه- جَهْدٌ جاهدٌ/ جَهْدٌ جَهيد: عظيم بالغ، بصعوبة كبرى.
3. نهاية وغاية {وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}.

فالجهود: هي: كلُّ نشاط يبذله الكائنُ الواعي جسميًّا أو عقليًّا، ويهدف غالبًا إلى غاية. (عمر، 2008، ج1ص410)

ثانيا: تعريف التفسير:

- معنى التفسير لغة:

يطلق التفسير في اللغة على: الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل ومن ذلك قوله تعالى:

{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (الفرقان: 33)

لم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم إلا هذه المرة فقط.

قال ابن فارس: "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك فسر، يقاله: فسرت الشيء وفسرته. والفَسْر والتَّفسِرَة: نظَر الطَّبيب إلى الماء وحُكمهُ فيه. (ابن فارس، 1979، ج4 ص 504).

قريب منه ما جاء في القاموس: الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير. والفِعْلُ كضَرَبَ ونَصَرَ، ونَظَرُ الطَّبيبِ إلى الماءِ، كالتَّفْسِرَةِ.

نعم إن أصل كلمة "فسّر" يدور معناها حول البيان والكشف والإيضاح، وإن تعلق بالقرآن الكريم فالتفسير هو بيان معانيه والكشف عن معاني ألفاظه وإيضاحها وشرحها شرحا وافيا كافيا. (الفيروزآبادي، 2005، ج1ص 456).

- معنى التفسير اصطلاحا: التفسير علم يُفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ: وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه. (الزركشي، ج1 ص 13)

(1) نسأل الله أن يتقبله في قوافل الشهداء.

لكن الكثيرين اليوم يختارون التعريف الآتي: علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى حسب الطاقة البشرية. (الزرقاني،1996، ج2ص4 ومسلم،1421هـ، ص15 والسبت، ج1ص29 ورشواني،2009، ص25).

نعتقد أن الأرجح من تلك التعاريف، حينئذ يكون تعريف الجهود التفسيرية لشخص ما هي: كل نشاطاته وأعماله في بيان المراد من كلام الله تعالى بحسب طاقته البشرية المحدودة.

1- التعريف بالملا ذنون البدراني

1-1- حياته الاجتماعية والعلمية:

1-1-1- ولادته وطلبه العلم:

ولد العلامة الملا سيد ذنون سيد يونس سيد محمد البدراني عام 1353هـ [=1933م] في الموصل/ محلة النبي شيت، حيث فقد بصره إثر مرض الرمد ففقد الأولى وعمره ست سنوات، وفقد الثانية وعمره ثمان سنوات. (البدراني، ج2ص441).

قرأ القرآن في الكتاتيب لدى الملا علي بن عبد الله في جامع نبي الله شيت– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- وواظب على قراءته حتى أكمل حفظه وسنه بين 13- 14 عاماً. (الملا يوسف، 1405هـ، الإمداد، ج2ص76).

وفي هذه الفترة من الزمن كان في مدينة الموصل الكثير من العلماء المحققين، وكان الناس يشجعون طلب العلم ويولون أهله أنواع رعايتهم كوقف العقارات لخدمة العلماء وطلبة العلم فضلا عن احترامهم وتقديرهم أحسن التقدير.

تعريف الملا:

فيما يتعلق بمعنى الملا فهناك تفسيرات متباينة بالإمكان تلخيصها على النحو الآتي:

- لفظة ملا إما من ملاء العلم او من
- (من لا يجهل) ادغمت فصارت ملا. او هي من
- ملاء العلم ثم افخمت فصارت ملا وهي
- لفظة تركية أصلها من لا ثم صارت ملا. وهناك علماء مثل ملا جامي وملا مسكين.
- ويجوز الجمع بين هذه المعاني. ومن العلماء من هو ملا ابن ملا في سند متصل مثاله: الشيخ محمد نجم الدين بن المرحوم الملا احمد الصديقي نسباً، والشافعي مذهبا والبامرني مولوداً وموطناً اسمه مركب من (محمد نجم الدين) ولقبه العلمي (ضياء الدين) لقبه به شيخه العلامة عبد الوهاب الجوادي الموصلي، و(صدِّيقي) ينتهي نسبه إلى حضرة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ. وقد تكرر (أبو بكر) في نسب أجداده. يقول عن نسبه في إحدى الرسائل التي نسخها (قد وقع الفراغ من تنميق هذه الورقات اللطيفة والأبحاث الشريفة على يد الفقير إلى عفو ربه القدير، نجم الدين بن ملا احمد بن ملا عثمان بن ملا احمد بن ملا عبدالرحيم، بن ملا أبو بكر بن ملا عبد الله، بن ملا أبو بكر، بن ملا عبد الله بن ملا أبو بكر بن حاجي موسى ابن پير عيسى الصديقي التيمي القرشي، الذي هاجر هو وابنه حاجي موسى من المدينة المنورة إلى بلاد العجم، فمنها إلى بلدة عمّادية، فأعطاه ملك العمادية قرية (ماميسا) من قرى ناحية ريكان، فسكن هناك إلى أن توفي رحمه الله، وقبره هناك الآن معروف مبروك، مزار مشهور. (الملا يوسف، إجازات،1430هـ، ص 83)، وهذا الشيخ الجليل الملا محمد نجم الدين الصديقي نظم في تاريخ حديقة رأس العين في بامرني ومن بحر الطويل:

نسيمُ صبا بامرنهْ هبّ تفرّجاً لنزهة ازهار وكشف الحقائق
فدارت رياض الأرض حتى تنفّست بروضة ملاّ والافندي الشقائق
فحفَّ بريحانٍ وورد وسنبلٍ ونرجس عيناء لجين الورائق
فارّخ تصديقا بشأن بهائها "حديقة رأس العين رأس الحدائق"
144 261 161 261 522
=1349هـ

(الملا يوسف، إجازات، ص 90)

1-1-2- شيوخه:

طلب العلم الشرعي وعلوم المادة لدى شيوخ أهل الموصل فأفاد منهم:

1. الملا علي الشمالي- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- مدرس مدرسة الشيخ عبدال، وإمام وخطيب الجامع الأحمر(جامع الخضر) فقرأ عليه جملة من العلوم..

في النحو: الآجرومية، وملحة الإعراب، وشرح القطر.
في البلاغة: شرح الجوهر المكنون وزهر الربيع.
في مصطلح الحديث: شرح البيقونية والباعث الحثيث.
في المواريث: شرح الرحبية.

2. الشيخ سعد الدين الخطيب- رحمه الله تعالى رحمة واسعة - قرأ عليه..

في الفقه: متن الغاية والتقريب إلى كتاب الجمعة، وشرح الزبد للإمام الرملي (غاية البيان)، وقرأ عليه منهاج النووي والأنوار ليوسف الأردبلي إلى كتاب النكاح.
في العقائد: قرأ عليه المعتقد الإيماني شرح منظومة الشيباني، وحاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، وشرح العقائد النسفية.
في النحو: قرأ عليه شرح القطر. وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى انتقل إلى:
3. الشيخ الملا عثمان الجبوري.. فقرأ عليه شرح شذور الذهب، والمغني لابن هشام في النحو ولم يكمله.
4. الشيخ رشيد الخطيب وهو أخو سعد الدين الخطيب. فقرأ عليه في:
- علم أصول الفقه: كتاب أصول الفقه لزكي الدين شعبان، والرسالة للإمام الشافعي- رضي الله عنه-.
- في التفسير: قرأ عليه تفسيره لكتاب الله العزيز. (الملا يوسف، الإمداد، ج2ص76-77، نفعي، 2008، ص45). وهو تفسير القرآن العظيم المسمى "أولى ما قيل في أيات التأويل".

هذا ما تيسر للباحث أن يطلع عليه في بيان شيوخ الملا ذنون، ولكن أحد الخبيرين الفاضلين كتب في تعليقاته على البحث بأن الملا ذنون درس على العلامة الشيخ مصطفى البنجويني. ومن جملة ما قال: فالبدراني قرأ عليه علم المنطق والمناظرة... إلى آخر ما تفضل به من غيرتوثيق. لذا سألت شيخنا د. أكرم عبد الوهاب- وهو تلميذ للشيخين الجليلين كليهما- هذا السؤال أثناء اتصال بفضيلته مساء يوم الأربعاء الثاني من شعبان 1436هـ- 21/ أيار/ 2015م. فقال ما نصه: لم يدرس الشيخ البدراني على الشيخ مصطفى. والذي اضطرني للسؤال أن مصادري كلها بقيت في منزلي في الموصل وليس تحت يدي منها شيء البتة.

1-1-3- إجازته:

له إجازتان هما:
- إجازة عامة من شيخه رشيد الخطيب.
- إجازة عن الشيخ المسند محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي بالواسطة مكاتبة. (ينظر: الملا يوسف، الإمداد، ج2ص77).

ثم إن هذا الأخير لي منه روايات بأسانيد عالية من طريقين:
- تلميذه شيخنا العلامة الدكتور أكرم عبد الوهاب الموصلي.
- تلميذه الشيخ محمود بن محمد سراج المكي الذي أجزته بمروياتي وأجازني مشكوراً بمروياته، في مكة المكرمة- حرسها الله تعالى- في يوم الأحد 12/ جمادى الأولى/ 1434هـ- 3/24/ 2013م.

1-1-4- وظائفه:

شغل الملا ذنون- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- المناصب الآتية:
- الإمامة والخطابة والوعظ في جامع سوق الحنطة مع تدريس العلم الشرعي. (ينظر: الملا يوسف، الإمداد، ج2ص77).
- رئاسة رابطة علماء العراق/ فرع نينوى. منذ سنة 1990م حتى وفاته عام 1994م.
- رئاسة جمعية الشبان المسلمين/ فرع نينوى.

1-1-5- تلاميذه:

تتلمذ على يديه الكثير من طلبة العلم، منهم:
1. الشيخ أد. عبد الستار فاضل خضر النعيمي. الأستاذ في كلية الآداب- جامعة الموصل.
2. الشيخ أم د. أكرم عبد الوهاب محمد أمين، مدير دار النور للعلوم الشرعية والإسناد.
3. الشيخ أم د. صالح خليل حمودي التدريسي في كلية الإمام الأعظم/ نينوى. وقد أجازه بالإجازة العامة في قرية الجرن. وهو أول من نال منه الإجازة.
4. الشيخ شعبان رمضان، إمام وخطيب جامع حي النجار.
5. نوري عبد الله (أبو فوزي). (ينظر: الملا يوسف، الإمداد، ج2ص77).
6. الشيخ حمد محمد محمود البدراني (أبو معن) خطيب جامع المأمون سابقاً.
7. الشيخ عز الدين نذير رمضان النعيمي. إمام وخطيب جامع الغفران في حي الحدباء، وهو من تلاميذه الملازمين المثابرين، إذ إنه لازم الشيخ حتى وفاته، وكان يقوم بخدمته كأنه أحد أولاده.
8. الشيخ القارئ الخطاط علي حامد رجب الراوي خطيب جامع فتحي العلي سابقا- رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.
9. الشيخ غانم العيثان، إمام وخطيب جامع صديق الرشان في حي المثنى.
10. الشيخ هشام عبد الكريم صالح البدراني، مؤسس دار العبادلة للعلوم الشرعية ومديرها.
11. الشيخ القارئ يونس إبراهيم ذنون الطائي خطيب جامع اليقظة الإسلامية حتى وفاته- رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.

وهؤلاء الستة إخوة لي وزملاء في العمل الدعوي والوظيفي.

1-1-6- روايتي عنه:

أروي عن شيخنا الدكتور أكرم عبد الوهاب محمد أمين الملا يوسف الشافعي الحمداني الموصلي عن شيخه الملا ذنون البدراني عن شيخه الملا علي الشمالي عن شيخه سعد الدين الخطيب عن شيخه محمد أفندي بن عثمان الرضواني. (ينظر: الملا يوسف، إجازات، ص 8) رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وغفر لهم- وبسند الأخير إلى المصنفين، من مفسرين ومحدثين وفقهاء وأصوليين ونحاة وبلاغيين ومناطقة.

1-1-7- علو همته حتى في حالات مرضه:

حرص الملا ذنون- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- أشد الحرص على العلم والتعليم حتى في أيام مرضه، بل في أخريات حياته التي قضاها وهو يتألم كثيرا بسبب المرض الذي أصابه.

قال شيخنا أكرم عبد الوهاب: زرته حين كان راقدا في المستشفى ومعي نجلي عمر [زميل الباحث في دراسة الدكتوراه] فسألني- وهو يعاني المرض ويقاسي آلامه الشديدة- فقال:

- ماذا يقرأ عليك عمر من العلوم؟
- فقلت له: هو الآن يقرا على فلان وفلان...
- فقال: وعندك؟
- فقلت له: لا يقرأ عليّ الآن شيئا.
- فقال: أولى الناس بالرجل أهل بيته. وكانت هذه الكلمة آخر ما انعقد بيننا من الكلام. (الملا يوسف، 2008، نفعي، ص45).

ثم إن الشيخ عمر أخبرني [1] أنه كان قد قرأ عليه- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- تفسير البيضاوي من أوله إلى قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[آل عمران: 13].

بصحبة رجلين هما:

1. الشيخ الشاعر صلاح الدين عبد العزيز؛ خطيب جامع بهاء الدين- رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.
2. الدكتور فراس حطاب- الأستاذ في كلية الآداب حاليا- وقد مات الملا ذنون قبل إكمالهم عليه.

نعم يصف الشيخ عمر طريقة تدريسه فيقول: كان عنده مصحفه المخرم، فإن أخطأ الطالب صحح له قراءته، ولم يكن يتقيد برأي البيضاوي. وكان يتندر بما كان قد نقله له والدي الشيخ أكرم مِن أنَّ أحداً لمْ يكملِ البيضاوي لسبق الموت، فهو قاتل الشيوخ، إلا عددا عرفوا كالملا يحيى المزوري [2] - رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.

1-1-8- وفاته:

بعد عمر جاوز الستين عاما قضاه بين المحاريب وعلى المنابر وفي حلق الدرس وافاه الأجل، فتوفي- رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له- عام [1414هـ- 1994م]. ودفن في مقبرة (وادي عكاب [3] في الموصل. (ينظر: الملا يوسف، إجازات، ص 8). ولم أجد من يوثق وفاته بالشهر واليوم.

1-1-9- صفاته، وثناء العلماء عليه:

أثنى عليه الشيخ أكرم عبد الوهاب فوصفه بالأوصاف الآتية:

1. الذكي الألمعي المتمرس في علوم الفقه والتفسير والأدب والخطابة وعلوم الآلة.
2. الصبر الطويل والخلق الجميل الجليل والتحفظ في الدين.
3. الورع والاهتمام بأمور المسلمين. (الملا يوسف، 2008، نفعي، ص45).
4. مقروءاته تتجاوز مقروءات المبصرين بما تهيأ له من سماع الدروس المسجلة على أشرطة التسجيل فيأتي وقد حضّر الدروس أكثر مما يحضره المبصر. مصداق ذاك ما أخبرني به الأخ الشيخ عز الدين أنه قد سجل له مائة كتاب تقريبا في خمسين شريطا، لكي يستمع إليها، وهذا كان يعينه على تحضير الدروس، فضلا عن ذلك كان يسمع

(1) في كلية الإمام الأعظم الجامعة/ فرع الموصل يوم الاثنين السابع من محرم سنة 1435هـ-1/11/ 2013م

(2) هو العالم العلامة، شافعي الزمان، يحيى بن حسين المروزي العمادي، من شيوخه العلامة الشريف عاصم بن إبراهيم الحيدري. ومن تلاميذه الشهاب الآلوسي، ومن كتبه:

أ. حاشيته الشهيرة على تحفة المحتاج لابن حجر/ (مجلدان)، تصدى فيها للجواب على اعتراضات ابن قاسم العبادي على شرح ابن حجر

ب. وحاشية على شرح عصام الدين على الرسالة الوضعية

ج. وشرح على المسائل الحسابية في آخر خلاصة الحساب التي تحيّر فيها العلماء.

وهو شيخ مشايخ العراق، وكان عندهم بمنزلة ابن حجر، وقد أقرأ تحفة المحتاج لابن حجر أكثر من ثلاثين مرة، كذلك تفسير أقرأ البيضاوي مع حواشيه، وكتب الحديث سبعين مرة، عاش قريبا من مائة سنة، توفى سنة 1250هـ تقريبا، ودفن ببغداد في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني- رضي الله عنهم أجمعين-. (ينظر المدرس، 1983م، ص621-623، البحركي، 2015م، ج3 ص 303-306).

(3) ليست كافاً خالصة بل مقلوبة من القاف، مثلما ينطقها اليمانيون وبعض العراقيين.

ختمة القرآن ختمتين بصوت القارئين الشيخين عبد الباسط محمد عبد الصمد، ومحمد صديق المنشاوي- رحمهم الله أجمعين-.

5. كثيرا ما حصل أن أصيب بعلة في حنجرته. فيراجع أهل الشأن فينصحونه بقلة الكلام لكنه لايفتر عن أمر الدرس. وإذا ما تعبت حنجرته وفقد قدرته على الكلام، لجأ إلى طريق السماع من تلاميذه.
6. نشاطه المميز، إذ لا يكاد يترك فرصة تسنح يمكنه استغلالها إلا اهتبلها بالمعرفة، بل والتدريس.

يقول الشيخ أكرم: وكم أتيت إليه في جامع سوق الحنطة وقت القيلولة فوجدته يدرس هذا أو ذاك تاركا راحته وراء ظهره، إذ إنه كان يأتي قبل صلاة الظهر بساعة أو أكثر حسب الإمكان وقد جعل لأحد طلابه موعداً لتدريسه في ذلك الحين، فإذا حان وقت الصلاة صلى الظهر وحان بعد الظهر موعد الطالب الآخر لدراسة علم آخر حتى يحين العصر... فاذا صلى العصر عاد الى ما كان عليه قبلا. فأفاد من أراد الاستفادة. (ينظر: الملا يوسف، الإمداد،1433هـ، ج9ص38) فله الله درُّهُ همةُ حديدٍ. (ينظر: الملا يوسف، الإمداد، 1405هـ، ج2 ص87-88)

كما أثنى عليه الشيوخ؛ صالح خليل، غانم الغيثان، وحمد البدراني، وهؤلاء تلاميذه الذين لازموه، واطلعوا على سيرة حياته عن قرب، وعرفوا ما فيه من الخلال الحسنة الجميلة والخصال الحميدة والصفات الطيبة، وكفى بذلك شهادة نابعة عن علم وخبرة. ولذا نال آي الثناء منهم وتبوأ المنزلة الرفيعة والمكانة السامية، وزبدة القول أن الشيخ رحمه الله كان أهلا للثناء والفخر، كيف لا وقد صرف همه لطلب العلم ثم جعل وقته كله لطلبة العلم ينهلون من معينه الصافي ما يرغبون من فنون العلم ودرره وغرره في كل وقت وحين. رحمة الله عليه.

أما الثناء عليه شعراً فذا ما قيل فيه:

1. قال الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب محمد أمين (ينظر: الملا يوسف، الإمداد، ج2ص86-87):

وعند ذي النون هو البدراني	قرأت في ضبط وفي إتقان
شيئا من النحو شفا غليلي	وللشِرازي "لمع الأصول"
وفي أصول السّادة الأحناف	"شرح النار" منه بعض وافي
والفقه واصلت مع انتهاجي	"شرح المحلّيِّ على المنهاج"
وقد حضرتُ وعليه يُقرا	في كتبٍ شتى فَجَلّ قدرا
كم فكَّ أغلال السّطور فَكّا	ولم يدعْ لدى الصّدور شكّا
والحفظ قد أوتيْ مع النباهَه	في الأمر إمّا وفَّرَ انتباهَه

2. قال الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الستار فاضل خضر النعيمي مخاطبا الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب عرفاناً بالجميل في إهدائه إياه أجزاء من موسوعة (الإمداد) المباركة:

(إمدادكم) أحيا الفؤاد من الأسى	وأعاد ذكراً سالفاً من دهرهِ
فانزاح همٌ قد علاه لما جرى	من سبْيِ علمٍ في البلادِ وأسرهِ
لهفي على جمعٍ تشتّتَ شملُهُ	كنَّا الطّيورَ بروضِه وبزهرهِ
نشدو فنونَ العلمِ بين أكابرٍ	من سابرين لبحرِه ولغورهِ
مِنْ مثلِ (عثمان الجبورِ) وشيخِناً	(ذنّون بدران) البيانِ وسحرهِ

1-2- جهوده العلمية

أخذت كثيرا من معلومات هذا المطلب من أخي الشيخ عز الدين نذير رمضان النعيمي، جزاه الله خيرا وأجزل له العطاء لسعة صدره، وحسن خلقه، وإفادتي بالمعلومات القيمة الوافية، وهو من أصدقائي المقربين وكنا نلتقي يوميا بعد صلوات العصر والمغرب والعشاء ونجلس سويا ما بين العامين 2013و2014، لنتناقش في مسائل العلم وشؤون العلماء وطلبة العلم في غرفته الخاصة في جامع الغفران في حي الحدباء، وفي مرة من المرات كتب لي وريقات لاستعين بها في إتمام بحثي هذا.

1-2-1- في اللغة:

كان- رحمه الله تعالى رحمة واسعة - من الصرفيين النوادر، كيف لا وقد كان يدرس كتب الصرف كلها، يقف عند كل كلمة يرجع بها إلى أصولها مع بيان بابها الصرفي فضلا عن ذلك فهو يقوِّم كل كلمة ذاكراً اشتقاقاتها. وربما ردَّ على صاحب الكتاب أحياناً، لا يكتفي بأمثلة الكتاب فحسب، بل إنما يطالب التلاميذ بأمثلة إضافية أخرى.

كان يقرأ عليه من كتب اللغة كالقاموس المحيط. فما كان يعجبه استشهاد بعض النحاة بالشعر دون القرآن، وإذا خالف الشاهد نصا قرآنيا عدَّه شاذا ومتروكا ولا يأبه به، فلا يقدمه على الشاهد القرآني. وكان يقرأ عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك والنحو الواضح.

أما البلاغة:

فهو فارس ميدانها وأستاذها الأول الهائم بها فهو كما قال أد. عبد الستار فاضل:

..... وذنون بدران البيان وسحره

بل هو لا يكتفي بذكر أمثلة الكتاب فحسب، بل إنما يضيف إليها أمثلة أخرى فيشرحها، وقد عرف عنه واشتهر رده على السيد أحمد الهاشمي إذ رد أمثلته في كتابه"جواهر البلاغة". ومما يحسن إيراده هنا أنه اعترض عليه في موضوع ((خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي لأغراض أخرى منها: التهكم - نحو: أعقلك يُسوغُ لك أن تفعل كذا؟ (الهاشمي، ج1 ص 83-84)) يرد الملا ذنون فيقول: لم لا يستشهد بالقرآن كقوله تعالى: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ } [هود: ٨٧]. وهل هناك مثال خير من هذا؟! وموضع الشاهد الهمزة الاستفهامية في قوله (أ صلاتك).

وكان يدرس كثيرا كتاب (علوم البلاغة) لأحمد مصطفى المراغي و(البلاغة الواضحة) لعلي الجارم وأحمد أمين.

أقول: كم وكم كان فرحي حين وجدت من تلاميذه من حذا حذوه، فأناط اللثام عن كنوز البلاغة، وكشف قناعها مثلما كان يفعل، لا سيما شيخنا الدكتور أكرم عبد الوهاب الذي يفري في كتب البلاغة فريا، وليس ذا فحسب بل ألم بكل العلوم النقلية والعقلية، وصار الشعر سجية لديه يتكلم به إن شاء، دون أدنى عناء أو تكلف، بل يجري منه على لسانه جري الماء في الجدول، فبارك الله فيه.

1-2-2- في الفقه:

كان يدرس المتون المهمة في المذهب الشافعي والشروح والحواشي عليها، وقد درس كتاب متن الغاية والتقريب بشروحه:

- فتح القريب المجيب في شرح (ألفاظ التقريب للإمام العلامة أحمد بن الحسين الأصفهاني الشافعي الشهير بأبي شجاع (ت593هـ). اشتهر بـ "متن أبي شجاع"). شارحه الإمام العلامة أبي عبد الله شمس الدين محمد بن قاسم الغزي الشافعي المعروف بـ " ابن الغارابيلي" (ت 918هـ).
- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، للشيخ تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي (ت 928)، وغاية الاختصار للإمام أبي شجاع.
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشيخ الإمام شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ).
- حاشية الباجوري على فتح القريب تاليف الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري (ت 1276)، (الباباني، ج3 ص 347).

كذلك متن المنهاج للإمام النووي والشروح والحواشي عليه، إذ درس:

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. والمنهاج هو منهاج الطالبين للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت767هـ)، وشرحه المغني للخطيب الشربيني.
- السراج الوهاج في إيضاح المنهاج للإمام البهاء أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن عزام الأسواني. وهناك شرح آخر له باسم السراج الوهاج أيضا صنفه الشيخ محمد الزهري الغمراوي لكن الملا ذنون لم يدرسه لأحد فيما نعلم.
- كنز الراغبين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي.

كان- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- يتعجب من ألفاظ المنهاج وشدة إيجازها فيقول متحسرا: رحم الله الإمام النووي لو أنه وضع كلمة "كذا" هنا في هذه الجملة من النص لصارت العبارة أشد وضوحا، وأكثر بيانا). وكان أحيانا يتمثل الفقهاء وكأنهم حضورٌ أمامه يخاطبهم فيقول: وهل كنتم تشترون الكلمة بالمال، فكلفتكم، فأبيتم أن تذكروها؟!

كذلك درس في كتب السادة الأحناف، وهذه هي:

- مراقي الفلاح بإمداد الفتاح في شرح "نور الايضاح ونجاة الأرواح" للعلامة حسن بن عمار الشرنبلالي المتوفى سنة 1069هـ.
- الاختيار لتعليل المختارللإمام العلامة أبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي المتوفى سنة 683هـ.
- كتاب الهداية شرح بداية المبتدي، للإمام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفى سنة 593هـ.

كذلك الأمر مع المذهب المالكي:

حيث درس كتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" للقاضي محمد بن أحمد ابن رشد الحفيد القرطبي المالكي المتوفى سنة 595هـ.

ثم إنه لم يكن يتقيد في الفتوى بمذهب ما بعينه، بل إنما كان يفتي على المذاهب الأربعة فيما يراه راجحا منها فيفتي به إشارة إلى تبحره فيها، وله نوع ميل إلى المذهب الحنبلي، إذ إنه كان مولعا بكتاب "منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار" للمجد ابن تيمية (الجدّ)، وهو مجد الدين أبو البركات عبد السّلام بن عبد الله بن الخضر المتوفى سنة 652هـ ، وابنه شهاب الدّين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السّلام المتوفى سنة 682هـ، وحفيده شيخ الإسلام تقيّ الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام؛ المشهور بشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني. المتوفى سنة 727هـ. على الأرجح. والكتاب مطبوع مع شرحه نيل الأوطار.

وربما خالف المذاهب الأربعة في مسائل فمال فيها إلى رأي الغير على نحو ما يتبين في النقاط الآتية:

- ابن حزم الظاهري المتوفى سنة 456هـ، فابن تيمية وابن القيم المتوفى سنة 746هـ في: منع وقوع طلاق الحائض.
- ابن تيمية، وابن القيم في: عدم وقوع الطلاق الثلاث في مجلس واحد.

- الفقهاء الذين يرون عدم وقوع طلاق من طلق زوجته في طهر مسَّها فيه أو غير طاهر لأنه طلاق بدعي وهو مذهب الجعفرية، وبعض الخوارج وبعض المعتزلة، وبعض الزيدية، وأهل الظاهر، وابن تيمية وابن القيم من الحنابلة (الغزالي، د. أحمد بخيت، الطلاق الانفرادي، تدابير الحد،1420هـ، ج7 ص387-388)، ويعتبر لغوا. وهذا المذهب يحكى عن بعض التابعين، وهو مروي عن ابن علية، وهشام ابن الحكم، وبه قال أبو عبيدة، وبعض أهل الظاهر، وهو مذهب الباقر، والصادق، والناصر (سابق، 1971، ج 5 ص271).
- الحنفية في قيمة زكاة الفطر، وكان يذهب إلى سوق الحنطة ليسأل عن سعر الحنطة وقوت البلد، لأجل أن يحدد القيمة تحديدا دقيقا من غير شبهة، وهذا المذهب هو الأيسر في الفتوى اليوم، وهو الأنسب في مصالح العباد. ومما يؤسف له اليوم أن بعض الناس أخذ الجهل منهم مأخذه فذهبوا يضللون المسليمن ويبدعونهم، وربما رموهم بالفسق، أو الكفر أو الشرك، من غير عذر وبلا أي سبب سوى اتباع هوى أنفسهم التي ألَّهوها، وجعلوها حاكما، قال تعالى {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} (الفرقان: 43)، وقال أيضا { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (الجاثية: 23).

1-2-3- في الحديث:

كان- رحمه الله تعالى رحمة واسعة - يدرس كتب الحديث متنا وشرحا واصطلاحا.. يقرأ ويطالع في الصحيحين وكتب السنن وهي:

- سنن أبي داود (المتوفى سنة 275هـ) و
- سنن النسائي (المتوفى سنة 303هـ) و
- سنن الترمذي (المتوفى سنة 279هـ) و
- سنن ابن ماجه (المتوفى سنة 273هـ)]،

اهتم بالغ الاهتمام بتدريس كتاب "بلوغ المرام من أدلة الأحكام " للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 885هـ، مع شرحه" سبل السلام للصنعاني المتوفى سنة 1182هـ، وكتاب منتقى الأخبار المار ذكره في الصحيفة السابقة، والشروح عليه، لا سيما كتاب نيل الأوطار للشوكاني المتوفى سنة 1250هـ.

من مزاياه:

الملا ذنون انماز بالتحقيق والتدقيق في الروايات بل حتى الأحاديث، غير مكتف بالرواية مجردة كما يفعل الكثيرون، فإذا ما خالفت الحقائق التاريخية ردها بعد أن يقارن بين الأقوال بدقة مستندا إلى حقائق التاريخ. ومن الأمثلة عليها:

- علق على تفسير الكوثر بفاطمة- رضي الله عنها، وصلى الله وسلم على أبيها- فقال: التاريخ يشهد بوضع هذه الرواية، لأن فاطمة ولدت قبل البعثة بخمس.
- استشهد السيوطي المتوفى سنة911هـ بحديث؛ مع ذكره في كتابه "اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" لذا قال الملا ذنون: وهذا الحديث حتى لو لم يذكره السيوطي في الموضوعات، فالوضع فيه ظاهر بالنظر إلى الحقائق التاريخية.

الطريف في الأمر أن السيوطي تعجب من فعلة ابن الجوزي وإن فعل السيوطي هو نفسه مثلها. ألا ترى إليه وهو يذكر (حديث عبد الله بن الزبير يرفعه قال له جبريل ليلة أسرى به: إن ربك يصلي. قال يا جبريل: كيف يصلي؟ قال: يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي.) فيه سند لعمر بن قيس المكي، وأخرجه أبو الفرج في الموضوعات وقال رجاله ثقات إلا أنه موقوف على عطاء. والعجب العجاب منه كيف أخرجه في هذا الكتاب مع هذا القول منه. (السُّيوطي، ج1ص 22).

2- جهوده التفسيرية

2-1- مصادره في تفسيره مع بيان منهجه فيه

كان للملا ذنون البدراني– رحمه الله تعالى رحمة واسعة- في التفسير قدم السبق، وهو ينتهج المدرسة العقلانية في التفسير تبعا لشيخه رشيد الخطيب الموصلي وهما معا يسلكان طريقة محمد عبده وتلميذه رشيد رضا ومنهجهما القائم على الرأي والعقل وقد يصل الامر إلى ترك المأثور بل الإعراض عنه كليا كما فعل محمد عبده في نفسير معنى الطير الأبابيل، والمقام يضيق عن التفصيل فيه.

ثم إن الملا ذنون كان يراجع من التفاسير:

1. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بتفسير الطبري المتوفى سنة 310هـ.
2. الكشاف للزمخشري المتوفى سنة 538هـ.
3. مفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر الرازي المتوفى سنة 606هـ.
4. الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي المتوفى سنة 671هـ.
5. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بتفسير البيضاوي المتوفى سنة 685هـ.
6. مدارك التنزيل وحقائق التأويل المشهور بتفسير النسفي (المتوفى سنة 701هـ.

7. والبحر المحيط لأبي حيان المتوفى سنة 745هـ.
8. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الآلوسي المتوفى سنة 1270هـ.

لكن تركيزه انصب على الكشاف والبحر المحيط والجامع لأحكام القرآن.

كما اشتغل كثيرا بتفسيري الإمامين؛ البيضاوي فالنسفي لكونهما من كتب المنهج في نظام الحلقات. وقد أكثر من القراءة في غالب كتب التفاسير، بل لا يبالغ المرء حين يقول: إنه- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- لم يترك كتاباً من كتب التفسير إلا وقد اطلع عليه. وقد قرأ كتاب "أولى ما قيل في التفسير" على مؤلفه وشيخه المفسر الأستاذ رشيد الخطيب الموصلي مرتين، ثم عاد فأقرأه تلميذه النجيب الشيخ حمد البدراني مرتين أيضا، أخبرني به الشيخ حمد في مجلس مكتظ بالعلماء وطلبة العلم أيضا مرتين، مرة خصني بها ثم ذكرها لمن في المجلس ثانية.

لم يرضَ الملا ذنون بالقراءة السطحية بل اقترح على شيخه بعض المسائل خاطبه فقال:

- يا شيخ: لو أنك ذكرت هذا الوجه في تفسيرك لكان أولى.
- فيقول الشيخ الخطيب: والله لا أعرف كيف اكتبه؟ وإن كنت أعرف تماما كيف احكيه بلساني، لكن إنْ تسنى لكم أن تكتبوه أنتم وتيسر فافعلوا.

إن من أهم مسائل التفسير التي اهتم بها الملا ذنون بعض الاصطلاحات النحوية والبلاغية، ولضيق المقام نختار منها اصطلاحين هما:

1. الالتفات وهو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. (القزويني، 1998، ج 2 ص 100)، أي: الانتقال في الكلام من حالة الى حالة اخرى؛ تكلما وخطابا وغيبة. مثال الالتفات:
   - من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى: {وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (يس: ٢٢).
   - من التكلم إلى الغيبة قوله تعالى {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (الكوثر: 1-2).
   - من الخطاب إلى التكلم: ولم يردْ له مثال في القرآن. (الكفوي، 1998، ج1ص 241، ابن معصوم، 1969، ج1 ص76، الزهراني، 1421هـ، السنة 33- العدد 113 ص 358) وقال ابن معصوم: الالتفات من الخطاب إلى التكلم، ولم يقع في القرآن، قال الحافظ السيوطي في الإتقان: ومثل له بعضهم بقوله: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} (طه: ٧٢). ثم قال: {إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا} (طه: ٧٣)، وهذا المثال لا يصح، لأن شرط الالتفاف أن يكون المراد به واحداً. انتهى. ومن أمثلته في الشعر قول علقمة بن عبدة:

طحا بك قلب في الحسان طروب — بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلى وقد شط وليُها — وعادت عواد بيننا وخطوب

(ابن معصوم، ج1 ص76). لكن أحمد الهاشمي مثّل له بقوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} (هود: ٩٠). (الهاشمي، ج1 ص 212). فالنبي نوح- عليه السلام- قال: (ربكم) ثم قال" (ربي). ولا شك أن أحمد الهاشمي أجاد فيما فعل وأحسن، كيف لا وهو يرى في القرآن الكريم مثالا لهذا النوع من الالتفات والحال أنَّ من سبقه من أئمة اللغة كالكفوي لم يفطن إلى ما فطن إليه. والله أعلم.
   - من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} (يونس: ٢٢).
   - من الغيبة إلى التكلم قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ} (فاطر: ٩).
   - من الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ} (الفاتحة: 4-5). (القزويني؛ ج1ص73).

كان يورد هذه الأمثلة لا يقف عند ذكرها فحسب، بل إنما يبين أسباب الالتفات والحكم فيه مع مزيد من الشواهد والأدلة والأمثلة ببيان واف وكاف وشاف، من تلك الحكم مثلاً: عندما يكون الكلام عن أهل النار، يؤتى بضمير الغيبة للإشعار ببعدهم عن الله تعالى، أما عند ذكر أهل الجنة فيؤتى بضمير الخطاب إشعارا وإيذانا بقربهم من الله مع ما يتمتعون به من المنزلة العالية والقدر الرفيع وألوان التكريم الإلهي- جعلنا الله كلنا جميعا من أهلها-.

2. الحذف: منه: قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: ٣٠).

يقول: هنا حزل تقديره: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة يفسد فيها ويسفك الدماء قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)، ولربما لم يوفق هو أو تلميذه الشيخ عز الدين النعيمي في استعمال المصطلح أو خانه التعبير كما يقال، لأني إنما أخذت المعلومة من الأخير وساحة الملا ذنون بريئة حتى يتيقَّن تلميذه من النقل الدقيق والرواية الصحيحة. وهذا العيب يأتي من خيانة الذاكرة بسبب عدم التدوين والتقييد بالكتابة، ومن منا سلم من العيب المذكور؟!

فالحزل من اصطلاحات العروضيين في الشعر. عرفه الأزهري: الحزل فِي الشّعْر ضرب من زحاف الْكَامِل وَهُوَ سُقُوط الْألف وَسُكُون التَّاء من متفاعلن فَيبقى متفعلن فَيُقَال مفتعلن. (الأزهري، 2001، ج1ص232).

وعرفه الجرجاني المتوفى سنة 816هـ: هو الإضمار والطي من متفاعلن يعني إسكان التاء منه وحذف ألفه ليبقى متْفعلن فينقل إلى مفتعلن ويسمى أخزل. (الجرجاني،1405، ج1ص132).

وعرفه التهانوي- كان حياً 1158هـ- بأنه: عند أهل العروض هو اجتماع الإضمار والطّيِّ. فـ (مُتَفَاعِلُن) يصير بالإضمار مستفعلن وبالطّي: مفتعلن. هكذا في بعض رسائل العروض العربي، وجامع الصنائع، وعنوان الشرف. والخزل في اللغة: القطع، والمناسبة بين المعنيين ظاهرة. (التهانوي،1996، ج1ص743). وجاء في القصيدة الخزرجية في العروض المسماة بـ (الرامزة) للعلامة ضياء الدين أبي محمد عبد الله الخَزْرجِي: (ج1ص1):

طيّـك بعـد الخـبن خبـل وبعـد أن تقـدم إضـمار هـو الخـزل يـا فتـى

إذن فقولهما في مفهوم الخزل بعيد عن الصواب، اللهم إلا إن قصد المعنى اللغوي الذي ذكره الأزهري: الخزل: الساقط المنقطِع. (الأزهري، ج6ص216). ولست ولن أكون ممن يستسيغ وجود سقط في كتاب الله تعالى، معاذ الله.

الأمر ذا شبيه بما يسميه النحاة بما يعرف عندهم بـ (الزائد)، كقولهم في: باء (بكاف) من قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} (الزمر: 35)، أنها زائدة، أو حرف جر زائد، وفي قوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} (هود:5)، يرون أن: (من) زائدة، ولكنَّ المفسرين ويا لِحُسْنِ صنيعِهم، ونِعِمَّا يفعلون بقولهم: هي صلة. تأدبا مع كلام الله تعالى. والحق معهم. ما تقدم من العرض هو تمهيد للخوض في التفسير عند الملا ذنون.

2-2- ترجيحاته ونظراته في التفسير:

كان الملا ذنون يغلب عليه الطابع العقلاني، وما كان ليضيره أن يرد نصا لا يتوافق مع العقل في نظره، وقد مر أنه كان يميل إلى التفسير بالرأي دون الأثر غالباً، وهذا ما دعاه إلى حملة شعواء على الإسرائيليات فجعل يحذر منها ويسعى جاهدا في أن يبصر الناس ومن بينهم تلاميذه بخطر تلك الروايات السقيمة، ولربما كان يحذر من بعض التفاسير الجليلة بسبب إيرادها للإسرائيليات من غير بيان حالها أو نقدها نقدا علميا أو الإشارة إلى ما فيها من العلل، ومجافاة الحقيقة.. ومن أبرزتلاميذه في هذا المجال وأكثرهم تأثرا بتلك النزعة الشيخ هشام البدراني، وهو رجل صاحب فكر وله منهجه الخاص في الدعوة والتصنيف والتأليف.

2-3- السمات البارزة في تفسيره:

لا يغالي بالقول: إن الملا ذنون له تفسير هو: "أولى ما قيل في آيات التنزيل" وإن كان من تأليف شيخه رشيد الشيخ الخطيب الموصلي. وذلك لاهتمامه البالغ بهذا التفسير، وعنايته الفائقة وتدريسه لعدد من تلامذته المتميزين، مع كثرة مراجعته له.

طبع هذا التفسير:

- طبعة رديئة جدا في مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل. حوت كثيرا من الأخطاء الإملائية حتى اضطرت المؤسسة إلى إرفاق مسرد مطول لتلك الأخطاء، لكن أعيد طبعه مؤخرا في
- طبعة أنيقة فاخرة. حيث طبعته مطبعة أروقة للدراسات والنشر، باعتناء: مجد أحمد مكي في عمان- الأردن سنة 2014 في تسع مجلدات بورق صقيل. ولم يتسن لي مراجعتها، لذا اكتفيت بالرجوع إلى الطبعة السابقة.

على العموم ثمة سمات بارزة عرف بها الملا ذنون امتاز بها عمن سواه من العلماء في عصره. ومن أبرز تلك السمات التي ينبغي الإشارة إليها:

1. اعتماده على الفنون البلاغية في إبراز الثوب القشيب والحلة البديعة للقرآن الكريم.
2. التدقيق في الروايات مع التحقيق وشدة التمحيص، أكاد أشبهه بالشيخ محمد الغزالي فيه، فإذا ما خالفت رواية ما الحقائق التاريخية ردها بعد أن يقارن بين الأقوال بدقة مستندا إلى حقائق التاريخ. ولسوف تأتي الأمثلة عليها في نماذج من تفسيره.

وينبغي ألا يتوهم أحد أنه من القرآنيين الرافضين للسنة كليا، المكتفين بالقرآن وحده على زعمهم، فهو وإن كان قرآنيا لا يرد السنة الصحيحة فضلا عن المتواتر منها، أما معنى القرآنية عنده فهو الاكتفاء بالقرآن بالتدبر فيه وربط معاني الايات حتى تظهر الصورة كاملة، من غير حاجة إلى روايات لا قيمة لها (من الموضوع والواهي)، أي أنه يحبذ النظر الدقيق في الآية قيد الدرس مع النظر في شبيهاتها ثم الجمع بينها في نسق واحد لاستخراج المعنى الشامل وبلوغ المراد منها، وهذا لا شك يغني عن سرد الروايات التي فيها نظر. أو التي ليست في محل القبول لفقدها شروط القبول كليا أو جزئيا. وأنعم بذا وأكرم، لأنها الطريقة الفضلى في التفسير الصحيح المنضبط بالأصول والقواعد.

2-4- اعتراضاته وردوده على المفسرين:

ذكر فيما سبق شيء من ذلك على وجه الإجمال، وحان الوقت لبيان القاعدة التي اعتمدها في قبول التفسير أو رده. وهي بإيجاز موافقته للعقل والتاريخ وحقائق علوم العصر، فلو وجد نصا ما يتعارض مع حقائق التاريخ رده بلا أدنى تردد. ورد على كثير من المفسرين بدءا من شيخ المفسرين الطبري معترضا عليه تركه للنقد والتمحيص في إيراد الروايات المتباينة. وكانت ردوده تتناقل بين طلبته وقد تصل إلى عامة الناس حين يلقيها من على منبر الجمعة، وما كان ليضن بها عن أولئك النفر الذين يأتون إليه مستفتين في مسألة من قضايا الشرع الحنيف.

2-5- ثناؤه على بعض المفسرين:

لا شك في أن المنهج الذي سلكه الملا ذنون في تفسيره والطريقة التي اختطَّها لنفسه في ذلك وانتهجها قد جعلاه ينتقي من التفاسير ما يتوافق مع رؤيته الخاصة بل ينسجم معها، لذا انحصر ثناؤه على المفسرين الميّالين للعقل، أو العقلانيين خاصة المعاصرين منهم وهم استاذه رشيد الخطيب الموصلي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وتلميذه رشيد رضا... وأمثالهم

وكانت ربما تأخذه الدهشة فيما يقرأ أحيانا في تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري (ت: 583هـ) فيطرب لها وينتعش مع كونه رافضا للاعتزال جملة وتفصيلا،

وكان يعجبه العلامة البيضاوي (ت: 685هـ) في عباراته التي تحتاج أحيانا إلى فكٍّ لما فيها من الحبكة في الألفاظ المنتقاة بعناية انتقاء عالم بصير بالفظ خبير، والرامية الهادفة إلى معان رفيعة سامية.

ثم إنه ما استطاع أن يكتم إعجابه بتفسير شيخه رشيد الخطيب الموصلي في قوله ولا في فعله، فإنه قرأ ذلك التفسير على شيخه قراءة تدقيق وإتقان مرتين، بل أقرأه كذلك لتلميذه الشيخ حمد البدراني الموصلي أي مرتين. وكان يكلف بعض تلامذته المواظبين من أمثال الشيخ عز الدين أن يقرأ له أو عليه في التفسير لأجل المراجعة حيث كان ضريرا، وهذا قد يفتقد عند الناس الأسوياء الذين ليس بهم عاهة أو عوق، لكن همة الرجل كانت عظيمة رحمه الله وغفر له ولنا..

2-6- الانتقادات عليه:

لم يعرف عليه شيء من النقد والمؤاخذة بصفة شخصية بحسب اطلاعنا، وهذا لا يوحي إلى أنه معصوم من الأخطاء، معاذ الله إذ جل من لا يسهو، ولكن كان الناس تتملكهم المهابة بالنظر إليه والحديث معه، على ما أحاطنا به علما جُلُّ تلاميذه.

مع ذلك فالرجل ينتمي بفكره إلى المدرسة العقلانية في التفسير أي: مدرسة جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده، لأن الملا ذنون كان متأثرا بشيخه الشيخ رشيد الخطيب الموصلي وهو صاحب منهج قريب من المدرسة سالفة الذكر، وقد انتقد هذا المنهج وتلك المدرسة بانتقادات مجلجلة ومن جوانب عدة منها: عدم المبالاة للنصوص والروايات إيثارا للاحتكام إلى العقل والفكروالنظر، حتى إن فيهم من أوشك أن يقدس العقل كما فعلت المعتزلة من قبل عامة والزمخشري منهم على وجه الخصوص لاسيما في زعمه الاكتفاء بالعقل وحده عن الرسول الآتي برسالة الله إلى الخلق.

فالملا ذنون حاله كحال شيخه والمدرسة التي يسلكان نهجها وطريقتها، من هنا لا غرابة في توجيه الانتقادات إليه، لكن لم يحظَ الباحث ولم يظفر على مثال لها لأجل ذكرها وإيرادها في هذا السياق.

2-7- نماذج من تفسيره:

درج البحث على ذكر نماذج من وقفاته أمام بعض الآيات التي كثر الخلاف في تفسيرها.. منها:

- تفسير غير المغضوب عليهم.
- الانتصار لعصمة يوسف-على نبينا وعليه الصلاة والسلام-
- الحكمة في زيادة أن في قوله تعالى: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ} (يوسف: ٩٦).
- تفسير قوله تعالى: {زَوَّجْنَاكَهَا} (الأحزاب: 37)، وطريقة إبطال التبني.
- الانتصار لعصمة داود- على نبينا وعليه الصلاة والسلام -.
- تفسير القرين في سورة ق الكريمة. أما الآن فإلى التفاصيل:

2-7-1- تفسير غير المغضوب عليهم:

كان للشيخ الملا ذنون اجتهادات جريئة في التفسير جرياً على طريقة شيخه الذي تبع مدرسة الأستاذ محمد عبده في التفسير، من الأمثلة على ذلك ما ذهب إليه في تفسير المغضوب عليهم في سورة الفاتحة، إذ كان يقول: لا تقولوا "غير المغضوب عليهم": اليهود. ولكن كل من عمل عملا يستحق الغضب فهو من المغضوب عليهم.

يهدف بذلك إلى عدم تخصيص الآية باليهود. (وهذه الرواية عنه رواها تلميذه الشيخ عز الدين نذير رمضان من على منبر جامع الغفران يوم الجمعة 25/ 4/ 2014م).

مناقشة الشيخ في المسألة:

عند التحقيق نلحظ أن هذا الرأي هو من قول شيخه رشيد الخطيب حيث قال: هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به (الموصلي، 1973م، ج1 ص 8).

نقله عن صاحب المنار: " المختار فيه أن المغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به، والذين بلغهم شرع الله- تعالى- ودينه فرفضوه ولم يتقبلوه، انصرافا عن الدليل.. وغضب الله يفسرونه بلازمه وهو العقاب، ووافقهم الأستاذ الإمام، والذي ينطق على مذهب السلف أن يقال: إنه شأن من شؤونه- تعالى- يترتب عليه عقوبته وانتقامه" (ينظر: رضا ، 1366هـ،ج1 ص67)

رأيهم يصح استنادا إلى القاعدة الأصولية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، لكن هذه القاعدة من العام الذي ورد تخصيصه. فليس كل خاص قابلا للتعميم.

ثبت عند المفسرين أن المغضوب عليهم: هم اليهود، قال ذلك غير واحد (الطبري، 1420هـ، ج 1 ص185، وابن كثير، 1420هـ، ج1 ص140، والشوكاني، 1414هـ، ج 1ص30). بل نفى ابن أبي حاتم الرازي الخلاف في المسالة قال: ولا اعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافا (ابن أبي حاتم، 1419 هـ، ج 1ص31).

كذلك ذهب القرطبي إلى: "أن الجمهور: أن المغضوب عليهم: اليهود، والضَّالين: النصارى، وجاء ذلك مفسَّرا عن النبيﷺ في حديث عديّ بن حاتم وقصة إسلامه، أخرجه أبو داود الطيالسي (ت204هـ)، والترمذي (279) في جامعه، وشهد لهذا التفسير أيضاً قوله- سبحانه وتعالى- في اليهود: {وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} (البقرة: 61، وآل عمران: 112). [وقال: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} (البقرة: ٩٠)]. وقال: {وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} (الفتح: 6) " (القرطبي، 1964ج1 ص150).

بمعنى أن رأيه معارض بثلاث مسائل أصولية هي:

1. الإجماع الذي أشار إليه ابن أبي حاتم ونص عليه القرطبي.
2. شهادة القرآن الكريم على أن المغضوب عليهم اليهود في غير سورة الفاتحة، والقرآن يفسره القرآن كما يقول المفسرون والأصوليون ولكون ذلك من قواعد التفسير وأصوله.
3. الحديث المفسر، وهو حديث صحيح قطعي الدلالة، سأزيده بيانا من حيث تخريجه والحكم عليه.

قال الترمذي: "حدثنا محمد بن المثنى وبندار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم عن النبيﷺ قال: اليهود: مغضوب عليهم، والنصارى: ضُلّالٌ" (الترمذي، 1975ج 5 ص202 رقم الحديث2954). أخرجه الترمذي وأخرجه أيضا أبو داود الطيالسي (الطيالسي، 1999، ج2 ص371 رقم الحديث 1135)، والطبراني (الطبراني، 1983، ج17ص 98، رقم الحديث 13924).

الحكم على الحديث:

1. حسنه الترمذي من بعد ان عده غريبا لذاته حسنا لغيره قال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب، وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ " (الترمذي، 1975ج 5 ص202 رقم الحديث2954).
2. ضعفه البوصيري (840 ه). قال: هذا إسناد ضعيف، لجهالة التابعي وعمرو بن ثابت [1] (البوصيري، 1999، ج1 ص80).

لكن ما قاله مردود ومدفوع باستحسان الترمذي للحديث مع التصريح بغرابته (اي ضعفه) إذ تقوى لوروده بطريقين، وجهالة التابعي غير مسلَّمٍ بها، فلئن كان أبو داود الطيالسي لم يذكر التابعيَّ في السند، فقد كفانا المؤونة الإمامان الترمذي والطبراني، فإنهما ذكراه صريحا باسمه وهو: عباد بن حبيش

3. حسنه الحافظ السيوطي (ت911هـ) في جامع الأحاديث (السيوطي، جامع الأحاديث، ج24 ص313).
4. صححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزياداته. (ج4 ص 169رقم الحديث 8202).

لمزيد البيان في المسألة نورد ما قاله ابن جزي: الفائدة التاسعة عشرة: المغضوب عليهم اليهود، والضَّالين: النصارى، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه واله وسلم، وقيل ذلك عام في كل مغضوب عليه، وكل ضال، والأول أرجح لأربعة أوجه: روايته عن النبي ﷺ، وجلالة قائله. وذكر (ولا) في قوله: ولا الضَّالين دليل على تغاير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن: كقوله: {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} (المائدة: ٧٧). (ابن جزي، ج1 ص 66).

ما انطوى عليه قول ابن جزي، يوضحه ويبينه الدكتور مساعد الطيار فيقول: يبقى المشكل في الأمر فيما لو فسرﷺ بعض الآيات، وهي تحتمل أكثر من المعنى الذي ذكره، فهل يجوز الزيادة على تفسير النبيﷺ إذا كانت الآية تحتمله؟! مثال ذلك: ما ورد من التفسير النبوي لقوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} قال: «هم اليهود» {وَلاَ الضَّالين} قال: «هم النصارى»، فقد وردت تعبيرات من العلماء مخالفة لعبارة النبي ﷺ كما يقول: المغضوب عليهم: من ضلَّ في العلم، والضَّالين: من ضلَّ في العمل، كما قال بعضهم: «من ضل من علمائنا فهو من المغضوب عليهم، ومن ضل من عبادنا فهو من الضَّالين»، وهذه العبارات كلها في النهاية لا تخرج عن أن تكون أمثلة للمغضوب عليهم والضَّالين، لكن المقصودين بالآية أولاً هم اليهود والنصارى، فإذا جاء مفسِّر وقال: ليس المرادُ اليهودَ والنصارى. نقول: أخطأتَ؛ لأن النبي ﷺ فسَّرَ الآية بذلك، لكنْ إذا قال: {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} اليهود، ويدخل معهم كلُّ مَن شابههم في هذا العمل. نقول: نَعمْ؛ لأنَّه داخلٌ في بابِ القياس. (الطيار، ج1 ص 178).

الخلاصة:

(1) في الإسناد مجهولان أولهما التابعي وثانيهما عمرو بن ثابت عند أبي داود الطيالسي، ولذا قال: لجهالة التابعي وعمرو بن ثابت، فالواو ليست زائدة بل حرف عطف للجمع بينهما.

إن رأي الملا ذنون في تعميم (المغضوب عليهم) بعدم حصره باليهود قولٌ مرجوحٌ، يتعارض مع القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة والإجماع عند المفسرين. ولا يصحُّ التعميم إلا من باب التفسير الإشاري الذي يقرأ ما وراء النصِّ من التفسير المقبول بحسب القواعد التفسيرية، أو من باب القياس كما عبَّرَ عنه الدكتور مساعد الطيار، والله أعلم.

2-7-2- الانتصار لعصمة يوسف -على نبينا وعليه الصلاة والسلام-

قال تعالى: {لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (يوسف: ٢٤).

في تفسير هذه الآية كان للشيخ رأي خاصٌّ جديرٌ بالقبول، نال إعجاب الكثيرين، وتأكد لي ذلك من طريقين: -

أ- تلميذيه؛ حمد البدراني وعز الدين النعيمي، اللذين مرَّ ذكرهما والتعريف بهما. فقد زار الموصل الشيخ محمود غريب المصري الشهير– رحمه الله- عام 1976م. فألقى محاضراتٍ عدة منها في جامع النبي شيت– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- عقب صلاة العشاء مباشرةً، وكنت حضرتها يومئذ، فأطال الحديث فيما يزيد على الساعتين والنصف، على كل حالٍ التقى الشيخ محمود غريب بالملا ذنون في جَلسةٍ ضمّت كثيراً من العلماء وطلبة العلم، منهم الأستاذ إبراهيم النعمة، وتحدث الشيخ محمود غريب في تفسير معنى الهمِّ ينتصر لعصمة الأنبياء بطريقته المعروفة ذاهبا إلى أن الهمَّ همَّانِ مختلفان... فلما انتهى من حديثه، قال له الملا ذنون: يا شيخ لا يحسنُ بِنا أن نقول: إنَّ هناك فرقاً بينهما، لكني أريد أن أخبرك بأن الآية نصَّت على وجود الهمِّ لدى امرأة العزيز، ونفتْ وجوده عند يوسف– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- نعم هذا بنصِّ القرآن لقوله تعالى: (وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه). فلولا: حرف امتناع لوجود؛ امتنع الهم لوجود البرهان. فانتشى الشيخ محمود غريب وبدا السرورُ على وجهه وأعجبه كثيرا هذا القول الحسن. فقدَّم له هدية.

ب- أستاذنا الشيخ صالح خليل.[1] حدثني أن الشيخ الدكتور عبد القادر العاني زار الموصل بعد أحداث الكويت سنة 1991م. فالتقى بالملا ذنون مع جماعة من العلماء، ولم يكن بينهما تعارفٌ من قبلُ، فضلاً عن أن يعرف منزلته العلمية، لذلك قال الشيخ صالح مخاطبا الشيخ العاني: (هذا شيخي وأستاذي، العالم الجليل) أي: الملا ذنون. لكن الشيخ العاني لم ينتبه للأمر ولم يفطن لمكانة هذا الشيخ العلمية، بل لعلَّه حسبه كالآخرين من الخطباء والأئمة من غير المتميزين.

نعم لما دار نقاش في المجلس عن همِّ سيدنا يوسف– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- ذكر الشيخ العاني ما عند المفسرين في المسألة. ولما انتهى من حديثه انبرى الملا ذنون بحديثٍ ما أروعَه في الانتصار لعصمة سيدنا يوسف -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- بوصف الشيخ صالح مبدياً أسفه الشديد لأن الحديث لم يسجل يقول: وليتنا فعلنا هذا.

هنا مشكلة تحتاج إلى معالجة: فالنحاة بعضهم لا يقبل بهذا التفسير لأن: لولا عندهم لا تعمل في هذا الموضع بسبب انتقاض عملها لتقدم جواب الشرط على كلٍّ من أداة الشرط وفعله.

توضيحه في الجدول:

وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه				
لو لا	أن رأى	برهان ربه	هَمَّ	بها
أداة الشرط	فعل الشرط		جواب الشرط	

لكن الملا ذنون ما كان ليرضيه مثل هذا الكلام لذلك جاءت ردوده عليهم بقسوة وغلظة، لربما كان يقول: ما لكم؟! أنترك القرآن لقول شاعر لا ندري والله ما حاله؟! ولا نعرف من أمره شيئا؟! أهو سكران أم هو واعٍ؟ ..... بل يقول من الكلام ما لا ينبغي ذكره لذا أحببنا أن نعرض عنه.

هذا الأمر دعاني للتحقيق في عمل «لولا» عند النحاة والمفسرين فمن قائلٍ: {وهمّ بها} جوابه، ولا يصح، لأن جواب «لولا» لا يتقدم عليها لأنه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة. ويجوز أن يكون {وهم بها} داخلاً في حكم القسم في قوله: {ولقد همت به} ويجوز أن يكون خارجاً. (النسفي، 1419هـ، ج2 ص103).

قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: {ولقد همّت به وهمّ بها} الآية. قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، أي تقديم الجواب وتأخير الشرط، كأنه قال: ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمّ بها.

وطعن في هذا التأويل الطبري بأن جواب «لولا» لا يتقدم عليها. ويدفع هذا الطعن أن أبا عبيدة لما قال ذلك علمنا أنه لا يرى منع تقديم جواب «لولا» على أنه قد يجعل المذكور قبل («لولا» دليلاً للجواب والجواب محذوفاً لدلالة ما قبل «لولا» عليه. ولا مفرّ من ذلك على كل تقدير فإن «لولا» وشرطها تقييد لقوله: {وهمّ بها} على جميع التأويلات، فما يقدّر من الجواب يقدّر على جميع التأويلات. (ابن عاشور، 1997، ج12ص253، المظهري، 1412هـ، ج5 ص154).

والمختار عند أبي حيان: أن يوسف- عليه السلام- لم يقع منه همّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إنّ جواب « لولا» متقدم عليها وإنْ كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو

(1) وهو من تلاميذه بل أول من أجازه فيما ذكر من قبل. تراجع ص 4

زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: إن جواب «لولا» محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجداً الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفي الهم. (أبو حيان: ج5ص/295، القاسمي، 1418هـ، ج6ص 167).

اعتراضات بعض النحاة ذكرها الفخر الرازي فناقشها وأجاب عليها، وتبعه السمين الحلبي: وجواب لَوْلاَ ههنا مقدم وهو كما يقال قد كنت من الهالكين لولا أن فلاناً خلصك. وطعن الزجاج في هذا الجواب من وجهين الأول أن تقديم جواب لَوْلاَ شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح الثاني أن لَوْلاَ يجاب جوابها باللام فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال ولقد همت ولهم بها لولا وذكر غير الزجاج سؤالاً ثالثاً وهو أنه لو لم يوجد الهم لما كان لقوله لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ فائدة واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد لأنا نسلم أن تأخير جواب لَوْلاَ حسن جائز إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال إنهم يقدمون الأهم فالأهم والذي هم بشأنه أعنى فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة وأيضاً ذكر جواب لَوْلاَ باللام جائز أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز ثم إنا نذكر آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى: إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا (القصص 10). وأما السؤال الثالث وهو أنه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ فائدة فنقول بل فيه أعظم الفوائد وهو بيان أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل. (الفخر الرازي، 2000، ج 18 ص94-95، ينظر السمين الحلبي، ج6ص469).

وللفخر الرازي كلامٌ نفيسٌ حريٌّ وربّي؛ ربِّ الكعبة أن يكتب بمدادٍ من الذهب في دفاعه الرائع عن الكريم يوسف بن الكريم يعقوب بن الكريم إسحق بن الكريم إبراهيم، ولسوف يكون ذلك الكلام مسك الختام لهذا المطلب في ذا المقام.

أما البيضاوي فكشف اللثام عن المراد من الهم ذاك قائلا: والمراد بهمه- عليه الصلاة والسلام- ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله. من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم، أو مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله. (البيضاوي، 1418هـ، ج 3 ص 160).

وجاء محشيه العلامة الشهاب الخفاجي فأبان وأحسن: قال الإمام الصرَّاد بالهمّ في الآية: خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه، وطلب شربه، ولكن يمنعه دينه عنه، وكالمرأة الفائقة حسناً وجمالاً تتهيؤ للشابِّ النَّامي القويِّ فتقعُ بين الشَّهوة، والعِفَّة وبين النَّفس والعقل مجاذبةٌ ومنازعةٌ. فالهمُّ هنا عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عن جواذب الحكمة، وهذا لا يدلُّ على حصول الذَّنب، بل كلَّما كانت هذه الحال أشدَّ، كانت القوّةُ على لوازم العبوديَّة أكملَ. إذا عرفت هذا فالمختار أنّ يوسف- عليه الصلاة والسلام- إنْ كان ما نسب إليه من الهمِّ واقعاً بِناءً على أنَّه لا يقدر على دفعه، ونظيره جواب لولا فهو بهذا المعنى الذي لا يعدّ سيئةً بل حسنةً كما سمعت، ولذا غاير بين العبارة في الهمَّين، ولم يقلْ: همَّا [أي يوسف، وامراة العزيز بصيغة التثنية] وأكَّدَ الأوّلَ دونَ الثاني، وإنْ لم يكن واقعاً كما اختاره في البحر، وقال: لم يقع منه همّ البتةَ، بل هو منفيٌّ لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفتَ الإثمَ لولا أنّ اللهَ عصمكَ.. ولا تقول إنّ جواب لولا يتقدَّم عليها، وإنْ لم يقمْ دليلٌ على امتناعه، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلفٌ فيها حتى ذهب الكوفيون، وأعلام البصريين إلى جواز تقدّمه. بل نقول هو محذوف لدلالة ما قبله عليه لأنّ المحذوف في الشرط يقدّر من جنس ما قبله، والبرهان ما عنده من العلم الدال على تحريم ما همت به وأنه لا يمكن الهمّ فضلا عن الوقوع فيه هذا هو الذي يجب اعتقاده، والحمل عليه، وكلام المصنف- رحمه الله- راجع إليه كما ستراه فقوله، والهمّ بالشيء قصده، والعزم ... الخ بناءً على أنَّه ليس مطلق القصد، وان هذا أصله فهو في حقها على حقيقته، وأمّا في حقه فبمعنى آخر. قوله: (ميل الطبع الخ) مبني على الطريقة الأولى المثبتة للهم له وجعله بمعنى الميل الطبيعي كميل الصائم للماء البارد وما فسر به الهم إن كان حقيقة كما هو الظاهر من كلامه فإطلاقه على هذا استعارة أو مشاكلة أو من مجاز المشارفة. قوله: (أو مشارفة الهم كقولك: قتلته لو لمْ أخفِ الله) هذا على إثبات الهم له وتأويله بالقرب من الهمِّ، كما في المثال المذكور إذا قصد بقتلته: شارفت قتله بضرب أو نحوه، وقد مرّ له جواب آخر فلا يرد عليه ما قيل إنه ما الموجب لإخراج قتلته عن حقيقته فإنه دليل الجواب إذ لم نجوّز تقديمه ولو للامتناع فالمعنى امتناع القتل لامتناع عدم الخوف منه تعالى، وهو معنى صحيح إذ المناقشة في التمثيل ليست دأب أرباب التحصيل. (الشهاب الخفاجي، ج5 ص 168-169).

لأجل أن يكون إشكال الفهم لمسألة الهم عند امرأة العزيز ويوسف قد وضح تماماً نستمع إلى الشيخ الشعراوي وهو يقول: نضرب لذلك مثلاً حتى نفهم هذا؛ إذ قال لك قائل: أزورك لولا وجود فلان عندك، هذا يعني أن القائل لم يزرْك، وبالقياس نجد أن يوسف عليه السلام رأى البرهان فلم يهمَّ. فمن أراد أن ينزِّهَ يوسفَ حتى عن حديث نفسه نقول: الأمر بالنسبة لها أنها همَّت به، وحتى يتحقق الفعل كان لا بد من قبول لهذا الأمر، وصار الامتناع لكنّه ليس من جهتها بل جاء الامتناع من جهته. وهو قد همّ بها لولا أن رأى برهان ربه. لماذا جاء الحقُّ: بأنه همَّ بها لو أن رأى برهان ربه؟ جاء الحقُّ بتلك الحكاية ليدلَّنا على الحكمة في امتناع يوسفَ عن موافقته على المراودة، فلم يكن ذلك عن وجود نقص طبعيٍّ جسديٍّ فيه، ولولا برهان ربِّه لكان من الممكن أن يحدث بينهما كلُّ شيءٍ. وأراد الحقُّ أن يخبرنا أن رجولَته كاملةٌ وفحولته غير ناقصةٍ واستعداده الجنسيّ موجودٌ تماماً، والذي منعه من الإتيان لها هو برهان ربِّه، إنَّه امتناعٌ دينيٌّ. لا امتناعٌ طبيعيٌّ. وبذلك يكون إشكال الفهم لمسألة الهمِّ عند امرأة العزيز ويوسف قد وضح تماماً. (الشعراوي، ج5 ص2984).

عند الترجيح بين الأقوال المتباينة في المسألة لن يحار العاقل في الفصل بين الفريقين، وذلك لأن النحو ما وجد إلا لخدمة القرآن الكريم. فكيف يسكت عمّن جعله حاكما على القرآن؟! أنّى يكون ذلك وكيف؟!

أما ما رأي الملا ذنون هنا؟ عند الإجابة لم أجد مناصّا من الرجوع إلى قول شيخه رشيد الخطيب، لأن رأييهما متقاربان في الغالب وإن كان الملا ذنون له فيه مزيد اجتهاد، وكان ربما خالفه أحيانا في بعض اجتهاداته في النادر القليل. بل إنه كان يوضح عبارات وردت في كلام شيخه عن طريق ضرب الأمثلة وإيراد الكثير من الشواهد. قال الخطيب -رحمه الله تعالى رحمة واسعة-: "{ولقد همَّت به} أن تبطش به {وهمَّ بها} أن يبطش بها مدافعاً عن نفسه {لولا أن رأى برهان ربه} السابق، وهو إحسان سيده له ووجوب مقابلة الإحسان بالإحسان. فهذه الفكرة نفسها هي التي حالت بينه وبين دفع صيالها بمثله، لأنه يؤدي إلى ظهور الخبر وفضيحتها، وفضيحة سيده الذي أكرم مثواه إلى الإساءة العظمى به. فانضمت هذه الفكرة إلى مراقبة الله- سبحانه وتعالى- وخشيته العظمى فلم يرَ حلّاً لذلك الموقف الحرج إلا بالفرار من أمامها، ففرَّ هارباً". (الموصلي، ج5 ص 18-19).

نعم بهذا التحليل الدقيق يفسر الخطيب الآية، وهو الذي طبع في تلميذه الملا ذنون بصمته. ثم إن الخطيب حلَّل هذه الظاهرة النفسية التي حدثت لامرأة العزيز تحليلا نفسيا: قال: "يقول علماء النفس: إن العاطفة تنقلب في لحظةٍ من نقيض، إذا عرض لها فجأة ما يصدمها ولا سيما عاطفة النساء. وهكذا كان أمر هذه المرأة. فعندما نزلت بحكم الحب الشديد من شرفها الرفيع إلى هذه المزلة الوضيعة، كانت تعتقد أن يوسف لايتردد في مطاوعتها إذا عرضت له نفسها على هذه الصورة بل برضاً وشغفٍ. فلما فاجأها بهذا الموقف المزري بها... انعكست لديها العواطف، واستحقرت نفسها، وحنقت عليه وهاجت فانقلب الحب إلى كره وعداء، وفقدت شعورها وموازنتها وهمت أن تبطش به بدافع لا شعوري غاضب، عندما أدركت احتقاره لها من جراء هذا وهاجمته غير حاسبة للموازنة والنتيجة أي حسابٍ فهمَّ بمدافعتها بالقوة، ولكن سرعان ما سرى في نفسه أنّه إنْ دفعها بالمقاومة وبطش بها، أساء أيضا إلى سيده بما سيشيع من ذلك الأمر، فلم يرَ مخلصا إلا بالفرار من أمامها ففعل" (الموصلي، ج5 ص 18-19).

التحليل النفسي أجراه ليستقيم كلامه في المرأة حيث وصف حالها وحالتها النفسية بدقة متناهية قائلا:

- جملة {معاذ الله} ملؤها التحاشي والتمنع وقوفا عند حدود الله، وما كانت تدري أن نفسه ليست كنفوس الناس العاديين وليست أخلاقه كالأخلاق الدراجة بين الناس فبهتتْ.
- فهمت منه التقريع والتأنيب لها بأنها داست كرامة زوجها، وحقوقه وحقوق الإحسان إليها، وحقوق الثقة بين الزوجين. وأنه قد راعى حقوق الإحسان.
- وإنما أنَّبَها بهذا الأسلوب من التأنيب ولم يؤنبْها صراحةً بالخوف من الله لأنها ليست من ذواتِ التقوى، ولكنها من ذواتِ الحشمةِ والآدابِ إلا أنَّ شغفَها أوقعها. فكان في هذا التأنيب زيادةُ إيلامٍ وتقريعٍ، وازدواج في الخواطر- وانعكاس في العواطف. فأثارَ هذا التمنع وهذا التقريع الضمني والاحتقار حفيظتها ونخوتها، وانقلبت المراودة بصورة مفاجئة إلى عداوة وخصام، بنتيجة وهلة التحقير الفاضح) (الموصلي، ج5 ص 78-18).

إن المتأمل في كلام الخطيب يرى عزوفه عن البرهان الحسِّي لكونه من خوارق العادات، وتلك ميزةٌ معروفةٌ في المدرسة التفسيرية العقلانية التي ينتهجها الرجلان، فالخطيب هنا يسعى حثيثا إلى تحليل المسألة بالأمر النفسي الواقعي، وأن البرهان هو الإحسان مع مراقبة الله، لكي ينأى بنفسه عن أقوال المفسرين السابقين عموما الذين ذكروا البرهان بصور حسية مختلفة منها تمثل صورة أبيه يعقوب- على نبينا وعليه الصلاة والسلام- عاضا على أصبعه بفمه. وهي أمر خارق للعادة، ارتأى الخطيب عدم ذكره بسبب عدم اعتقاده بمثل تلك المسائل.

بل بالغ شيخ تلك المدرسة حين فسر الطير الأبابيل بمرض الجدري. جاء في تفسير المراغي: "فابتلوا بمرض الجدري أو الحصبة حتى هلكوا. وقد يكون هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، أو تكون هذه الحجارة من الطين اليابس المسموم الذي تحمله الرياح، فيعلق بأرجل هذا الطير، فإذا اتصل بجسم دخل فى مسامّه، فأثار فيه قروحا تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه. ولا شك أن الذباب يحمل كثيرا من جراثيم الأمراض، فوقوع ذبابة واحدة ملوّثة بالمكروب على الإنسان كافية فى إصابته بالمرض الذي يحمله، ثم هو ينقل هذا المرض إلى الجمّ الغفير من الناس، فإذا أراد الله أن يهلك جيشا كثير العدد ببعوضة واحدة لم يكن ذلك بعيدا عن مجرى الإلف والعادة، وهذا أقوى في الدلالة على قدرة الله وعظيم سلطانه، من أن يكون هلاكهم بكبار الطيور، وغرائب الأمور." (المراغي، 1946، ج 30 ص 243) ... ذلك رأي قابل للأخذ والرد لا ينهي النزاع بين المفسرين.

دفاع الفخر الرازي عن الصديق يوسف:

عودا على بدء في دفاع الفخر الرازي عن الصديق الكريم يوسف- عليه السلام-. قال الإمام الفخر الرازي: واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم:

يوسف عليه السلام.	وتلك المرأة.	وزوجها.	والنسوة.	والشهود.	ورب العالمين. [جل جلاله]	وإبليس.

وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب.

- ✓ أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام: {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي} (يوسف 26). وقوله عليه السلام: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} (يوسف: 33).
- ✓ وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة: {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} (يوسف 32). وأيضاً قالت: {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} (يوسف 51).

- ✓ وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك فهو قوله: {قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ} (يوسف: ٢٨ – ٢٩).
- ✓ وأما الشهود فقوله تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (يوسف 26).
- ✓ وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (يوسف 24). فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات:
  - أولها قوله: لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوء. واللام للتأكيد والمبالغة.
  - والثاني قوله: وَالْفَحْشَاء. أي: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.
  - والثالث قوله: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا. مع أنه تعالى قال: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان 63).
  - والرابع قوله: الْمُخْلَصِينَ وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل، وأخرى باسم المفعول.
    - فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتياً بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص.
    - ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه، واصطفاه لحضرته. وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهاً عما أضافوه إليه.
- ✓ وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته فلأنه قال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (ص: ٨٢ – ٨٣). فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين. ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}. فكان هذا إقراراً من إبليس بأنه ما أغواه، وما أضله عن طريقة الهدى.

وعند هذا نقول هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف- عليه السلام- هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله- تعالى- فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته. وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته... فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام برىء عما يقوله هؤلاء الجهال. (الفخر الرازي، 2000، ج 18 ص93-94).

2-7-3- الحكمة في زيادة أن في قوله تعالى: { فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ... }:

عن هذه الآية الكريمة سألت الشيخ حمد البدراني باتصال هاتفي فأجاب: هذا لا يمكن بالهاتف، بل يراد له جلسة خاصة. ثم دعاني مشكورا إلى منزله في حي المأمون فزرته يوم الجمعة: 28/ شعبان/ 1435هـ- 27/ حزيران/ 2014م. ثم روى لي أن الملا عثمان الجبوري والملا ذنون البدراني تباحثا في تفسير قوله: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا} (يوسف: ٩٦). بحضور الشيخ جلال الحنفي- رحمهم الله تعالى رحمة واسعة-. فقال الملا عثمان: هذا أسلوب بلاغي لو لم يأت بـ (أنْ) لفقدت البلاغة وجهَها. فقال الملا ذنون: من العادات المعروفة أنَّ الإنسان إذا فقد عزيزاً عليه فأبلغته بالخبر فجأة فلربما تصدمه- فرحا كان ذلك الامر أو حزنا- ولأجل ذلك فلا بد من أن يعطى له مقدماتٌ كأنْ يقال له: هل عزيزك طيب؟ هل هو موجود؟ أ وصلك منه خبر؟ أعلمت عنه شيئا؟ هل جاءك أحد من جهته؟ ...الخ.

أي أن الآية فيها مسألة اجتماعية ونفسية، فإن الخبر حين يلقى على حين غِرَّةٍ ومن غير مقدمات فقد يؤدي إلى عواقب وخيمة حيث يصاب المخبَر بصدمة كالقلق أو هزة نفسية عنيفة. بل قد يرتفع عنده السكر أو الضغط أو تسارع نبضات القلب، أو ما شابه من العوارض الجسمية- النفسية (السيكوسوماتية Psychosomatic)، لكن لو أنك قدمت للخبر بتمهيد لائق ومناسب فإنَّ نفسه تستعد لتلقي الخبر وتتهيأ لسماعه تدريجيا، بمعنى أنك تخفف عنه الصدمة وتصبره وهذا ما فعله القرآن الكريم تماما.

أقول: سبحان الله! ما أجمل بلاغة القرآن، حرفٌ واحدٌ فيه كل هذه المعاني الزاخرة، أين درس محمد ﷺ علمي النفس والاجتماع؟! بلى والله إنه الوحي، {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} (النجم:5).

لكي يتضح هذا الأمر ويتجلى لدينا عمق تفكير الملا ذنون راجعت الكثير من التفاسير لعلّي اظفر بشيءٍ مما قاله- رحمه الله رحمة واسعة- فلم أجد شيئا، وفيما يأتي جولة بين التفاسير التي تيسر لي مراجعتها.

قال الإمام الطبري: وكان بعضُ أهل العربيّة من أهل الكوفة يقول:"أنْ" في قوله: {فلما أن جاء البشير} وسقوطُها، بمعنى واحد، وكان يقول هذا في:"لما" و"حتى" خاصّة، ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانًا وتسقطها أحيانًا، كما قال جل ثناؤه: {وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا} [العنكبوت:33]. وقال في موضع آخر: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا} [هود:77]. وقال: هي صلة، لا موضع لها في هذين الموضعين. يقال: {حتى كان كذا وكذا}، أو{حتى أن كان كذا وكذا}. (الطبري، ج16 ص260).

فهنا يرى الطبري أنها صلة بمعنى أنه زائدة لكن المفسرين أطلقوا هذا اللفظ أدبا مع القرآن الكريم، ولذا قال ابن عطية (ت:542هـ): وحكى الطبري عن بعض النحويين أنه قال:"{أنْ} في قوله: {فلما أن جاء البشير} زائدة، والعرب تزيدها أحياناً في الكلام بعد لما وبعد حتى فقط، تقول: لما جئت كان كذا، ولما أن جئت، وكذلك تقول: ما قام زيد حتى قمت، وحتى أن قمت". (ابن عطية، 1422هـ، ج3 ص280)

لكن ذهب الفخر الرازي: في المسألة إلى رأي آخر قال: في «أن» قولان:

"الأول: أنه لا موضع لها من الإعراب وقد تذكر تارة كما ههنا، وقد تحذف كقوله: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبراهيم الروع} [هود: 74] والمذهبان جميعاً موجودان في أشعار العرب. والثاني: قال البصريون هي مع «ما» في موضع رفع بالفعل المضمر تقديره: فلما ظهر أن جاء البشير، أي ظهر مجيء البشير فأضمر الرافع. (الفخر الرازي، 2000، ج 18ص166، والنعماني، 1998، ج 11ص210، الحميداوي، 2008، ص 195).

بينما ذهب القرطبي إلى زيادتها. (القرطبي، ج9ص261، والمحلي والسيوطي، ج1 ص 318) [1]، ووصف ابو حيان الزيادة بالاطراد يقوله: وأن تطرد زيادتها بعد لما. (أبو حيان، 2001، ج 7 ص64، والمظهري، ج 5 ص340). وتابع الآلوسي أبا حيان. (الألوسي 1415هـ، ج7 ص52). وعلل تلك الزيادة الإمام البروسوي (ت 1127هـ) قائلاً: أنْ صلة. أي: زائدة لتأكيد الفعلين واتصالهما حتى كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان من غير وقت (البروسوي، ج4 ص317، وأبو زهرة، ج 7 ص 3859).

جاء تعبير ابن الجوزي (ت 597هـ) أبلغ وأدق بقوله: فإن قيل: ما الفرق بين قوله ها هنا: {فَلَمَّا أَنْ جاءَ} وقال في موضع: {فَلَمَّا جاءَهُمْ؟ فالجواب: أنهما لغتان لقريش خاطبهم الله بهما جميعاً، فدخول «أن» لتوكيد مُضِّي الفعل، وسقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه، ذكره ابن الأنباري (ابن الجوزي، 1422هـ، ج 2 ص471).

البقاعي (ت 885هـ) شرح وظيفة (أن) وعملها في المعنى قال: {ألقاه} أي القميص حين وصل إلى يعقوب- على نبينا وعليه الصلاة والسلام- من غير فاصل ما بين أول المجيء وبينه كما أفادته زيادة «أن» لتأكيد ما تفيده «لما» من وقوع الفصل الثاني وهو هنا الإلقاء عقب الأول وترتبه عليه وهو هنا المجيء (البقاعي، 1995م، ج4 ص97).

عندما نصغي لابن عاشور (ت 1393هـ) نجده يبين فائدة التوكيد التي تضمنتها زيادة (أن) بنص قوله: و (أن) في قوله: (فلما أن جاء البشير) مزيدة للتأكيد. ووقوع (أن) بعد (لمّا) التوقيتية كثير في الكلام كما في «مغني اللّبيب». وفائدة التأكيد في هذه الآية تحقيق هذه الكرامة الحاصلة ليعقوب عليه السلام لأنها خارق عادة، ولذلك لم يؤت بـ (أن) في نظائر هذه الآية مما لم يكن فيه داع للتأكيد. (ابن عاشور، 1997هـ، ج13 ص53).

مما سبق نستخلص أن المفسرين المذكورين ذهبوا إلى كونها مزيدة باللفظ مرة، وبنظيرها (صلة) مرة أخرى.

لكن عبد القادر الملا حويش العاني (ت 1398هـ) يصرح بأن (أنْ) هنا ليست بزائدة لأن الزائد عبث ولا عبث في القرآن لأنها أفادت تحسين اللفظ والتأكيد واستقامة وزن الكلام (العاني، 1965، ج3 ص 256).

وكأنَّ من سبقه ذكر ما قاله بلسان الحال وعبَّر هو بدقة بلسان المقال. فهو ينفي زيادتها لكونها أفادت تحسين الكلام بتوكيده. ومن سبقه ذكر التوكيد.

لكن أين ما ذهب إليه الملا ذنون البدراني؟! الجواب: ما وجد أحد قبله قال بما قال على حد اطلاعنا فللّهِ درُّه.

2-7-4- تفسير قوله تعالى: {زَوَّجْنَاكَهَا } [الأحزاب: 37]، وطريقة إبطال التبني.

قال تعالى: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} (الأحزاب: ٣٧).

في تفسير هذه الآية الكريمة كان الملا ذنون يرد على مقالات المستشرقين في شخص رسول الله ﷺ في هذه الآيات التي تتحدث عن حرج النبي ﷺ في زواجه من زوجة زيد بعد طلاقها، وهو متبناه قبل الإسلام، فلما أبطل نظام التبني الجاهلي بالتشريع الإلهي وقع حرج عليه في الزواج، إذ كان سائدا في الجاهلية تحريم زواج الأب المتبنِّي من زوجة ابنه المتبنَّى. وقد كان زيد يشتكي من زينب فيقول له رسول الله ﷺ (أمسكْ عليك زوجك). فأوحى الله إلى رسوله ﷺ {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} .

إن المستشرقون وجدوا في قوله تعالى: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} ضالتهم، فجعلوا يصطادون في الماء العكر، يقولون: إن محمدا كان يحب زينب ويخفي ذلك فلا يستطيع أن يظهره مخافة أن ينتقد... لكنا نقول: الله عز وجل أظهر الحق وبينه وأبطل عادة الجاهلية في التبني وما ينبني عليه من أحكام.

كان سيدنا رسول الله ﷺ أسوة حسنة في إبطال هذه العادة السيئة وبيان الحق فيها وإقرار حكم الله تعالى.

لقد استفاض في الحديث في هذه المسألة رشيد الخطيب فقال: (ذكر المفسرون أنها نزلت في زينب- رضي الله عنها- وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب؛ عمة رسول الله، فخطبها ﷺ رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، فأبت وأنكرت ذلك وقالت: أنا ابنة عمتك فكيف تزوجني من مولى؟!. وتبعها أخوها؛ عبد الله. فنزلت الآية فرضيا وأطاعا. ويدل السياق على أن هذه الخطبة كانت بأمر الله، وأنه قضاء مقدر لإبطال التبني كما يدل على ذلك ما انتهت به القصة من التعليل الآتي، وأن الرسولﷺ كان يخشى غائلة المنافقين، ويحذر أن يفترصوا هذا الأمر لمشاغبات ضد دعوته، فكان يتراخى في هذا الأمر خشية منه حتى نزل قوله تعالى: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه} بالإسلام {وأنعمت عليه} بالتحرير وحسن التربية {أمسك عليك زوجك واتق الله} (الموصلي، ج 7 ص99-100).

(1) ينظر أيضاً (درويش، 1415هـ، ج 5 ص5)

ثم صرح بنقل كلام محمد عبده فقال:" قال الأستاذ الإمام: أرغم النبي ﷺ زينب؛ بنت عمته من أشراف قريش، أن تتزوج بزيد مولاه. لأنه ﷺ يجد في نفسه أن هذا الزواج مقدمة لتقرير شرع وتنفيذ حكم إلهي، وبعد أن صارت زينب إلى زيد، لم يسكن إباؤها الأول، ولم يسلس قيادها، بل شمخت بأنفها، وذهبت تؤذى زوجها وتفخر عليه بنسبها وكرم أصلها. وإن كان الزواج قد حدث قبل نزول آية إبطال التبني يكون قد اشتد كرهها له بعد هذا الإبطال، إذ بعد أن كان يدعى زيد بن محمد أصبح يدعى زيد بن حارثة [1] ويعتبر مولى من موالي المسلمين الذين ليس لهم نسب عالٍ يتباهون به حسب النزعة العربية. وعلى كل فكانت أو أصبحت عِشرته معها عِشرةَ رجل مع امرأة كارهة له مترفعة عنه. فاشتكى منها إلى رسول الله ﷺ المرة بعد المرة، واستأذن منه أن يطلقها ليتخلص من إبائها، فيقول له: {أمسك عليك زوجك واتق الله}، رغما عما قام في نفسه بإلهام الله أن يتزوجها إذا طلقها ليُبطلَ بنفسه هذه العادة الجاهلية الراسخة، ويصرفه الحياء وخشية مشاغبات المنافقين إلى التريث في تنفيذ حكم الله، فيخفي في نفسه ما هو مقرر لهدم تلك العادة المتأصلة في نفوس العرب". (الموصلي، ج 7 ص100) ما هذه العادة؟! يجيب الشيخ:" وهي أن الأدعياء بمنزلة الأبناء في التحريم. وكان يخشى ﷺ من المنافقين أن يشاغبوا ويقولوا تزوج بامرأة ابنه وهو نفسه ينهى عن نكاح حلائل الأبناء، وتفعل هذه المشاغبة فعلها، ولو إلى حين. ولهذا يتراخى ويقول: {أمسك عليك زوجك واتق الله}، حتى عاتبه الله على هذا الخوف فقال {وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس} من أن يقولوا تزوج امرأة ابنه {والله أحق أن تخشاه} وتسرع في تنفيذ مطالبه. فلما نزلت هذه الآية سمح ﷺ لزيد بطلاقها، بعد أن مضه العيش معها، ولم يبق له وطر بها. ثم تزوجها رسول الله ﷺ بتزويج الله إياها له، ولم يكن مثل هذا التكريم في غير زينب من زوجاته- رضوان الله عليهن- فكانت تفاخرهن بقول الله عز وجل {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها}" (الموصلي، ج 7 ص100-101).

ثم تابع يرد على تقولات المغرضين:"وفي الآية دفعٌ وصفعٌ لما يرد على بعض الأوهام، أو ما يقوله المغرضون من أن ذلك كان بطريق الإكراه لزيد، ولعل فحوى الآيات يدل أيضا على أن هذا الأمر لم يصعبْ على النبي ﷺ وحده، بل صعبَ على زينبَ أيضا من المشاغبة بأنها زوجة ابنه، فاحتوتِ الآياتِ على عباراتٍ قوية في سبيل الحض على الرضاء بما أمر الله، وتنفيذ هذا الإلهام الرباني للنبي ﷺ في إبطال هذه العادة الجاهلية إبطالا فعليا، وهدمها هدما قويا. وقو له تعالى {لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} تصريح في أن الباعث على ذلك، إنما هو إبطال التبني والمعنى إنما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين كيلا يتأثموا أن يتزوجوا أزواج أدعيائهم الذين يتبنونهم إذا قضى الأدعياء منهن وطرا ولم يبق لهم رغبة وفارقوهن. والغرض من هذا ألا يجري المتبنَّى في تحريم امرأته إذا طلقها، على المتبنِّي، مجرى الابن من النسب أو الرضاع، في تحريم امرأته إذا طلقهاعلى الأب" (الموصلي، ج 7 ص101).

ثم أكمل تفسير الآية مبينا الحكمة في تشريعات خاصة للأنبياء. قال:"{ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له} أي فيما قسم له وخصه به من التوسعة في بعص الأحكام الاجتماعية ومن ذلك تعدد الزوجات إلى غير حد معين، لأسباب تقتضيها. وقد دفع بهذا ما يشاغبون به من قولهم: ما باله يكثر الزواج؟! وقد أبان سبحانه بأن اختصاصه ﷺ من بين الأمة ببعض الأحكام أو التوسعة فيها، لما تقتضيه المصالح والحكم إنما هو من سنة الله في الأنبياء قبله فقال: {سنة الله في الذين خلوا من قبل} أي كما هي سنة الله في الأنبياء الماضين فقد وسع عليهم في بعض الأحكام الاجتماعية، مراعاة لذلك"(الموصلي، ج 7 ص101-102)

لكيلا يبقى في جعبة مغرض شيء للتشكيك في أمر التبني والنيل بذلك من خير خلق الله ﷺ استطرد رشيد الخطيب يقول:"وفي وصف الأنبياء بهذا الوصف تعريض به ﷺ وتشجيع له على المضي في هذا الأمر، وألا يخشى مشاغبة المشركين. ثم ألمع إلى تقرير الحكم السابق، بما هو كالتعليل له فقال: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (الأحزاب: ٤٠) فلا يضع أحكامه الا بحسب علمه وحكمته، ومن مقتضيات ذلك أن يتزوج نبيه ﷺ بالزوجة التي قضى منها وطرا دعيُّه، ويبطل أحكام التبني الجاهلي، تكميلا لشريعته هذه." (الموصلي، ج 7 ص102).

إذن لماذا المشاعبات والله يقول: ليس محمد أبا لأي أحد منكم، وليس له ابن بقي حيا. أما أن تقولوا: زيد ابنه فهذا باطلٌ من القول لأنَّ أباه معروفٌ.

كانت تلك المسألة في التفسير ضربا من التخلص من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي فتكت ولا تزال تفتك بالمجتمعات البشرية، جاء الإسلام السمح رحمة لسائر البشرية في إنقاذها من ربقة تلك العادات والتقاليد والأعراف الفاسدة. وكأنَّ في هذه الآياتِ شيئا من الحرج قد يلقاه رسول الله ﷺ وبعض أصحابه، لكن أين البأس والقرآن يؤسس لقواعد اجتماعية رصينة صحيحة قائمة على الحق والعدل والرحمة والإنسانية من أوسع أبوابها؟!

(1) هذا وارد في الصحيح فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} (الأحزاب: ٥). (البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير باب {ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله}، ج4 ص 1795، ح 4504).

نعم قد أجاد الملا ذنون- رحمه الله رحمة واسعة- في تفسير الآيات وتبرئة أفضل الخلق ﷺ من التهم الباطلة المغرضة.. فالحمد لله وحده.

2-7-5- الانتصار لعصمة داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام:

قال الحق- سبحانه وتعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} (ص:24).

كان الشيخ- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- يعتني بذكر الآراء التي قيلت في تفسير هذه الآي، فيرد عليها دون هوادة قارعاً الحجة بالحجة ليسد على الخصم باب النقاش والجدل العقيم. وأحد تلك الآراء التي كان يرد عليه هو القول بأن سيدنا داود– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- استعجل دون أن يستمع إلى (المدعَى عليه) فحكم بمجرد سماع كلام المدعِي.. وذا أوان استعراض بعض ما قيل في ذلك فيما يسنح به الوقت والمقام.

قال النحاس: يقال إن هذه خطية [خطيئة] داود– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- لأنه {قال لقد ظلمك} من غير تثبيت بينة ولا إقرار من الخصم ولا سؤال لخصمه(النحاس، 1421هـ، ج2 ص309 ، والشوكاني، ج 4 ص489).

بل إنهم قالوا: قال داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر: لقد ظلمك (الماوردي، 1982، ج 3 ص488، ولجنة من علماء الأزهر الشريف، 1995، ج1 ص 676).

معنى كلامهم أن زلته حاشاه عليه السلام: أنه حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؛ بقوله: {لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} وهي لا ريب زلة عظيمة بالنسبة لعموم القضاة؛ فما بالك بنبي الله داود -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- وقد قضت القوانين الوضعية برد القاضي إذا أبدى رأيه أثناء سير الدعوى (ابن الخطيب، 1383هـ، ج1 ص554).

علق الشيخ على هذا الرأي بأنه رأي ضعيف بل سقيم لا يجهله من كان عنده أدنى معلومات القضاء، فكيف بسيدنا داود– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- وقد مدحه ربه تعالى بقوله: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} (ص:20).

والعلماء والمفسرون فيهم من ذهب إلى هذا كابن العربي والقرطبي. نقرأ لهم: " فلم يكن خطأ داود– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- في أنه قضى لأحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر، فهذا من أصول الحكم التي لا يمكن تجاوزها، قال ابن العربي: وهذا مما لا يجوز عند أحد، ولا في ملة من الملل، ولا يمكن ذلك للبشر، وإنما تقدير الكلام أن أحد الخصمين ادّعى، والآخر سلم في الدعوى، فوقعت بعد ذلك الفتوى" (ابن العربي، 2003، ج4 ص55، والقرطبي ج15 ص177، والزحيلي، 1418 هـ، ج 23 ص190)

إن مما يؤسف له أن كثيرا من المفسرين ذهبوا إلى القول بأن داود– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- حكم من غير تروٍّ ولا تؤدةٍ بل من دون اصطبار، فسارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلام الخصم الثاني.. منهم مثلاً: الزمخشري، البقاعي، البروسوي، الشوكاني، القنوجي، وسيد قطب...

قلنا: إنَّ الشيخ ضعَّف هذا الرأي فذهب في ذلك مذهبا آخر.. فهو يعتقد أن سيدنا داود– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- كان له يومان يتفرغ فيهما للقضاء، ويوم يتفرغ فيه للعبادة، فكان هذا الموقف رسالة إليه أن ينتبه فيعلم أن القضاء أفضل من التعبد في منزله بعيدا عن المجتمع، لأن إصلاح المجتمع بالقضاء بإعادة الحقوق إلى أصحابها أعلى بكثير من مقام منفعة الإنسان لنفسه، وإذا تولى فضَّ بعض الخصومات فإنه حينئذ سوف يرفع عن كاهل المجتمع انحراف المنحرفين، ويريحه من السيئين ليسود الحق والعدل فيه. وهذه فائدة عظيمة للمجتمع بأسره إذا ما قورنت بالمنفعة الفردية الخاصة الضيقة التي تأتي من وراء انفراده للتعبد والخلوة مع النفس بعيدا عن الناس. وظن هذا الأمر فتنة، وما هي بفتنة إلا في حسابات الطبقة الأولى من المؤمنين المقربين، وإن شئت قلت الربانيين، الذين عندهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وهو رأي جميل فيه ما فيه من الحكمة. ولا ريب أنه هنا يشرح عبارة شيخه رشيد الخطيب:" اختبرناه في كيفية رعايته للناس واحتجابه عنهم، حيث اضطرت هذين الخصمين أن يدخلا عليه بصورة غير معتادة، من تضييق الحرس" (الموصلي، ج7 ص197)

لم نجد فيما قرأنا أحدا يقول بهذا التوجيه السديد للملا ذنون، فكأنه من بنات أفكاره. أما قول الخطيب باضطرار هذين الخصمين إلى أن يدخلا عليه بصورة غير معتادة، من تضييق الحرس، فهو مسبوق إذ جاء في التسهيل لعلوم التنزيل: وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن، ودخلوا من غير الباب، وقيل: إن ذلك كان ليلا. (ابن جزي، ج2 ص 205).

نعم. ثمة رأيٌ ثانٍ في الآية عند شيخه:" أو اختبرناه في حالته النفسية، إذ يجوز أنهم لما دخلوا عليه بهذه الصورة غضبَ فَهَمَّ بالانتقام منهم، إذ ظنَّ أنهم أتوه للاغتيال ثم أنكر على نفسه موقفها هذا، ومالَ إلى الصفح والتجاوز عنهم، طلباً لمرضاة الله. (الموصلي، ج7 ص197-198)

اختاره بعض المفسرين، والذي ذهب إليه الإمام أبو حيان: أنَّ الخصومة حقيقية بين اثنين من البشر، واستغفار داود- عليه السلام- سببه أنه ظن أنهم جاءوا لاغتياله ولإيذائه، وأن هذا ابتلاء من الله- تعالى- ابتلاه به، ثم تبين له بعد ذلك أنهم ما جاءوا للاعتداء عليه، وإنما جاءوا ليقضى بينهم في خصومة، فاستغفر ربه من ذلك الظن. فغفر الله- تعالى- له (طنطاوي، 1998، ج 12 ص154، الزحيلي، ج 23 ص 187).

بذا يتبين لنا أن قول الملا ذنون في الذي حمل داود على التوبة والاستغفار هو اعتزاله الناس للخلوة والعبادة واحتجابه عن القضاء في خصوماتهم أحيانا، وكل عاقل يعلم أن حاجة الناس إلى القاضي ماسة وقضاؤه أفضل من النوافل، فلا مكان للنوافل في حضرة الفراض والواجبات وهذا من فقه الأوليات.

2-7-6- تفسير القرين في سورة ق:

قوله تعالى: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (ق: ٢٣-29)

ذكر الملا ذنون أن هذا القرين هو: الملك الموكل بالكتابة على الإنسان، واستدل عليه من القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} (الانفطار: ١٠ – ١٢).

فلما ذكروا هذا الأمر لله رب العالمين وهو العليم الخبير بعمل عبده قال العبد متهما القرين الذي هو الشيطان بأنه أغواه وأوصله إلى ما وصل إليه، فأنكر القرين الذي هو الشيطان ذلك: {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}.

فهنا حدث جدل طويل وارتفعت الأصوات بالمشاحنة وبالاتهامات بين القرين الشيطان والإنسان، فالإنسان يدعي على القرين بالغواية والشيطان ينكر عليه ذلك، فقال الله تعالى لهما: {لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}.

فمن أحسن القول ما أشار إليه شيخه رشيد الخطيب في هذا الصدد:" ذكر سبحانه ما يكون من اعتذاره عند صدور هذا الحكم عليه، بأن الشيطان قد أغواه. ولكنه طوى الاعتذار مكتفياً بالجواب عنه، على نهج القرآن في الاكتفاء فقال: {قال قرينه} والمروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة: أن المراد به قرين آخر غير الذي مرَّ، فهما متفقان في الوصف مختلفان في النوع، فالأول هو الذي حفظ عليه أعماله، والثاني هو الذي أغواه وأطغاه كالرئيس، فيقول معتذراً {ربنا ما أطغيته} باستكراه {ولكن كان في ضلال بعيد} عن طريق الحق والصراط المستقيم، لفساد غريزته بمفاسد التربية وسوء التقليد، فكان مستعدا بذلك للغواية والطغيان فردَّ عليهم- سبحانه وتعالى- و {قال لا تختصموا} اليوم {لدي} بمعاذيركم فلا عذر لكم كيف {وقد قدمت إليكم بالوعيد} وهو ما قدمه- سبحانه وتعالى- إلى الإنس والجن من أنواع البيان عن هذا اليوم على لسان رسله وفي كتبه المنزلة". (الموصلي، ج 8 ص 139-140)

الظاهر لنا في هذا المقام أن الملا ذنون اختار قولا من أقوال المفسرين السابقين ورجحه، ولم يأت هنا بجديد هو وشيخه. دليلنا فيما نقول ما صرح به ابن عطية: والقرين الذي في هذه الآية، غير القرين الذي في قوله: قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ إذ المقارنة تكون على أنواع، وقال بعض العلماء: قَرِينُهُ في هذه الآية: عمله قلبا وجارحا. (ابن عطية، 1422هـ، ج5 ص 163)

نعم إن القرين على أنواع لكونه اسم جنس:" لفظ القرين: اسم جنس، فسائقه قرين، وصاحبه من الزبانية قرين، وكاتب سيئاته في الدنيا قرين وتحتمله هذه الآية، أي هذا الذي أحصيته عليه عتيد لدي، وهو موجب عذابه، ومماشي الإنسان في طريقه قرين، وقال الشاعر [عدي بن زيد العبادي]: [الطويل]

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي"

(ابن عطية، 1422هـ، ج 5 ص 163)

عليه فإن جماعة من المفسرين قالوا: قَرِينُهُ من زبانية جهنم، أي قال هذا العذاب الذي لدي لهذا الإنسان الكافر حاضر عتيد، ففي هذا تحريض على الكافر واستعجال به. وقال قتادة وابن زيد: قَرِينُهُ الملك الموكل بسوقه، فكأنه قال: هذا الكافر الذي جعل إلى سوقه، فهو لدي حاضر. وقال الزهراوي وقيل: قَرِينُهُ شيطانه.

قال القاضي أبو محمد [1]: وهذا ضعيف، وإنما أوقع فيه أن القرين في قوله: قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ هو شيطانه في الدنيا ومغويه بلا خلاف. (ابن عطية، 1422هـ، ج 5 ص 163)

أقول: إن الذي أبدع فيه الملا ذنون- رحمة الله عليه- استدلاله بالآية الكريمة في تحديد من هو القرين، فهو لم يقل شيئا إلا بعد أن رجع إلى القرآن الكريم فوجد فيه ضالته، وخرج بذلك من متاهات انفراد العقل في فهم النص القرآني. وهذا الامر ليس يسيرا لدى جمهرة العقلانيين الذين لا يأبهون بنص في مقابل العقل الذي يفخرون به.

فلا شك أن هذا الأمر من حسنات أي مفسر لاعتماده في التفسير على القواعد والأصول في تفسير القرآن الكريم، منها تفسير القرآن بالقرآن. الحمد لله رب العالمين

في نهاية الرحلة الشاقة والشيقة الممتعة مع الآي الكريمات بالعبارات الرائعات وبنقس ذلك الشيخ العالم الجليل: نرى أن الملا ذنون كان صاحب ذوق في التفسير مميز، فله اجتهاداته ومنهجه وطريقته الخاصة في فهم المراد من الآيات.

(1) القاضي أبو محمد هوابن عطية نفسه، جاء في مقدمة تفسيره ترجمته وفيها: القاضي أبو محمد: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية.

لم يقف موقف الجمود، بل أعمل عقله في ذلك وربما بالغ أحيانا، فترك المأثور جنوحا إلى العقل، وهذا من موروثه من شيخ رشيد الخطيب مَن اختط سبيل الأستاذ محمد عبده الذي يكوِّنُ مع كل من شيخه جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد رشيد رضا مدرسةً تفسيريةً عقلانيةً جديدةً، وانضم إلى هؤلاء محمد مصطفى المراغي ومحمد فريد وجدي. رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم.

خاتمة البحث ونتائجه:

تكلم البحث عن الملا ذنون يونس البدراني الموصلي- رحمه الله تعالى رحمة واسعة. واهتدى إلى نتائج هي:

1. ولد عام 1353هـ في الموصل. وتوفي- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- عام 1414هـ.
2. طلب العلم لدى شيوخ أهل الموصل منهم: الملا علي الشمالي والملا عثمان الجبوري والشيخ سعد الدين الخطيب وأخيه الشيخ رشيد الخطيب الذي أجازه بالعلوم.
3. أثنى عليه العلماء ووصفوه بالذكي الألمعي المتمرس في علوم الفقه والتفسير والأدب والخطابة وعلوم الآلة. والورع والصبر وحفظ الدين ورعاية أمور المسلمين بهمة ونشاط.
4. قدم البحث من تفسيره النماذج الآتية:

أ- تفسير قوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} (يوسف: 24)

بعدم وجود هم لدى يوسف– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- من طريق اللغة. واستحسن رأيه الشيخان محمود غريب و عبد القادر العاني- رحمهما الله تعالى رحمة واسعة-.

ب- في قوله تعالى: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ} (يوسف: 96)

الحكمة في زيادة أن أنه تمهيد وتقديم للمكروب لكي يستعد نفسيا لتلقي الخبر الذي فيه حزن أو فرح لئلا يصاب بصدمة: وهذا ما لم نجده عند غيره من المفسرين الذين تيسر لنا الاطلاع على تفاسيرهم، فلذا يعد فهم الملا ذنون البدراني –رحمه الله رحمة واسعة- اجتهادا خاصا به غير مسبوق. وأعجب برأيه هذا كل من الملا عثمان الجبوري الموصلي؛ علامة المعقول والشيخ جلال الحنفي- رحمة الله عليهم-.

ج- تفسير قوله تعالى: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} (الأحزاب: 37).

كان يرد على المستشرقين في افتراءاتهم الباطلة على شخص رسول الله ﷺ.

د- تفسير قوله تعالى: {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} (ص: 24).

عنده منصب على أن داود– على نبينا وعليه الصلاة والسلام- آثر الخلوة للعبادة على القضاء بين الناس لأنه خصص يوما للخلوة، وهذاخلاف الأولى في نظر الشيخ- رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر لنا وله بمن منه وكرم وفضل-.

ه- تفسير قوله تعالى: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ... قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} (ق: 23،27).

يقول: هناك قرينان أولهما الملك: يسجل الحسنات، وثانيهما الشيطان الموسوس للإنسان.

بعيد الرحلة الممتعة السارة المميزة مع آي كريمات في كتاب الله تعالى؛ دستور البشرية الخالد، ومع ذلك العالم الجليل المفسر الشيخ (الملا ذنون البدراني).

نسأله تعالى أن يمدنا من لدنه بالقبول. فإن كان الذي سقناه من القول صواباً حقّاً فإنما هو بتوفيق من ربنا جل شأنه وتسديد وإلهام، وإن وقع منا ومن أنفسنا الأمارة بالسوء فإنما هو سهوٌ اقترنت به غفلة وباطلٌ لازمه إغواء من الشيطان، ما قصدناه لكن غلبتنا أنفسنا البشرية الضعيفة.

ولعل القارئ يعذرنا ناظرا بعين الإنصاف لا بمنطق الإجحاف، وينصح ولا يفضح، قال بعضهم:

جزى اللهُ خيراً مَنْ تَأَمَّلَ صَنْعَتِي وقابلَ ما فيها مِن السَّهْوِ بالعَفْوِ
وأَصْلَحَ ما أَخْطَأْتُ فيه بِفَضْلِه وفِطْنَتِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِن سَهْوِي

وما أجمل ما قال آخر:

إنْ تجدْ عيباً فَسُدَّ الخَلَلا جَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فِيهِ وَعَلا

عندئذ كلنا لسانٌ مستغرق في الاستغفار على الصغيرة قبل الكبيرة، ولما فاتنا مما اقترفنا من السيئات والخطايا والمعاصي والذنوب، أو نحن فيه عن جهل لا عن علم أو قد نفعله في غدنا من باب العجز والتقصير، نعم نتوب إليه راجين ونستغفره داعين، ونرجع إليه أوابين أواهين منيبين. ذلك أنه سبحانه وتعالى أهل التقوى وأهل المغفرة.

المقترحات

يقترح الباحث القيام بمثل هذه البحوث التي تجلي جهود علمائنا السابقين ممن توفاهم الله تعالى ولم تكن لهم مصنفات إذ لم تخط أيديهم شيئا لأسباب كثيرة يضيق المقام عن ذكرها، يقترح الباحث أن يكلف الدارسون والباحثون

وطلبة العلم عن الجهود العلمية لاولئك الشخصيات من خلال تلاميذهم البارزين المخلصين المثابرين المتأثرين بهم مع الاستعانة أحيانا بذوي قرباهم للاطلاع على حياتهم ونشاتهم العلمية وما الى ذلك.

هذا وإن هذا الاقتراح جدير بالقبول لأن بعض علمائنا قد طواهم الزمن ولم يبقَ لهم ذكر بسبب عدم البحث في جهودهم العلمية. والله الموفق.

المصادر والمراجع:

1. ابن أبي حاتم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت327هـ)، (1419 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3.
2. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، (1422هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي: بيروت، دار الكتاب العربي، ط1.
3. ابن الخطيب، محمد محمد بن الخطيب (ت 1402هـ)، (1383هـ)، أوضح التفاسير، القاهرة، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6.
4. ابن العربي، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ)، (1424هـ -2003م)، أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3،
5. ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت741هـ)، (1416هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: د. عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، (1997هـ)، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.
7. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المحاربي (ت542هـ)، (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
8. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت395هـ)، (1399هـ -1979م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر.
9. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ)، (1420هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2.
10. ابن معصوم، صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت 1119هـ)، (1389هـ-1969م)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، النجف، مطبعة النعمان، ط.
11. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، (1422هـ-2001م)، تفسيرالبحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
12. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت 1394هـ)، زهرة التفاسير، بيروت، دار الفكر العربي.
13. الأزهري، محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370هـ)، (2001)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1.
14. الالباني، محمد ناصر الدين (ت1997م)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي.
15. الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني البغدادي (ت1270هـ)، (1415 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
16. الباباني، إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
17. البحركي، طاهر ملا عبد الله، (1436هـ-2015م)، حياة الأمجاد من العلماء الأكراد، ترتيب وتنظيم: أبي بكر طاهر ملا عبد الله البحركي، بيروت، دار ابن حزم، ط1.
18. البخاري، الامام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري الجعفي، (1407هـ -1987م). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط 3
19. البدراني، الأستاذ ياسين عبد اللطيف ياسين طه، الرايات الشريفة، (مخطوط).
20. البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت 1127هـ)، روح البيان، بيروت، دار الفكر.
21. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت 885هـ)، (1415هـ-1995م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2.
22. البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (1420هـ -1999م)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، الرياض، دار الوطن، ط1.
23. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ)، (1418هـ.)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1.
24. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت279هـ)، (1395هـ -1975م)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2.
25. التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (توفي بعد سنة 1158هـ)، (1996)، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: د. علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1.
26. الجرجاني، علي بن محمد بن علي(ت816هـ)، (1405هـ)، التعريفات تح: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1.
27. الحميداوي، أكرم نعيم عطوان، (1429هـ-2008م)، التأويل النحوي عند الفخر الرازي (ت606هـ) في مفاتيح الغيب، رسالة بإشراف: أ.د. فاخر جبر مطر، جامعة الكوفة-كلية الآداب- قسم اللغة العربية. رسالة ماجستير.
28. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت 1403هـ)، (1415هـ)، إعراب القرآن وبيانه، حمص، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق- بيروت، دار اليمامة، دار ابن كثير، ط4.

29. رشواني، د. سامر عبد الرحمن، (1430هـ-2009م)، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم- دراسة نقدية- حلب، دار الملتقى، ط1.
30. رضا، محمد رشيد، (1366هـ)، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، القاهرة، دار المنار، ط2.
31. الزحيلي، أد. وهبة بن مصطفى
- (1418 هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق، دار الفكر، ط2.
- (1430هـ-2009م.)، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، دار الفكر، ط31.
32. الزرقاني، محمد عبد العظيم، (1996)، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ط1.
33. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت794هـ)، (1376هـ -1957م)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، (ثم صوَّرته دار المعرفة في بيروت وبنفس ترقيم الصفحات)، ط1.
34. الزهراني، عبد الخالق بن مساعد، (1421هـ)، تلوين الخطاب لابن كمال باشا دراسة وتحقيق، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 33- العدد (113).
35. سابق، السيد، 1391-1971)، فقه السنة، بيروت، دار الكتاب العربي.
36. السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار ابن عفان.
37. السمين، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي (ت756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: د. أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.
38. السُّيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.
39. الشعراوي، محمد متولي (ت1418هـ)، (1991م)، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم.قطاع الثقافة والكتب والمكتبات.
40. الشهاب الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، بيروت، دار صادر.
41. الشوكاني، محمد بن علي بن عبد الله اليمني (ت1250هـ)، (1414هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، دمشق- بيروت، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب.
42. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، (1420هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1.
43. طنطاوي، اد. محمد سيد؛ شيخ الأزهر السابق، (1998)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
44. الطيار، د. مساعد بن سليمان بن ناصر، (1431هـ)، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الج الطيار، وزي، ط1.
45. العاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي (ت1398هـ)، (1382هـ-1965م)، تفسير القرآن العظيم المسمى بيان المعاني- على حسب ترتيب النزول- دمشق، مطبعة الترقي، ط1.
46. عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد (ت1424هـ) بمساعدة فريق عمل، (1429هـ-2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1.
47. الغزالي، د. أحمد بخيت، (1420هـ)، الطلاق الانفرادي، تدابير الحد منه- دراسة مقارنة- دار النهضة العربية، ط1.
48. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت606هـ)، (1421هـ -2000م)، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
49. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت817هـ)، (1426 هـ -2005 م)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 8.
50. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت1332هـ)، (1418هـ)، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
51. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت 671هـ)، (1384هـ-1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2.
52. القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر، (739 هـ)، (1998)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ط3.
53. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، (1419هـ -1998م)، الكليات، تح: عدنان درويش- محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2.
54. لجنة من علماء الأزهر الشريف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (1416هـ -1995م)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، مؤسسة الأهرام، ط 18.
55. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت333هـ)، (1426 هـ -2005 م)، تفسير الماتريدي -تأويلات أهل السنة، تح: د. مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
56. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، (1402هـ-1982م)، النكت والعيون الشهير بتفسير الماوردي، تح: خضر محمد خضر، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1.
57. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت864هـ) والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، تفسير الجلالين، القاهرة، دار الحديث، ط1.
58. المدرس، الشيخ العلامة عبد الكريم محمد، (1403هـ-1983م)، علماؤنا في خدمة العلم والدين، عني بنشره محمد علي القره داغي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ط1.
59. المراغي، أحمد بن مصطفى (ت1371هـ)، (1365هـ -1946م)، تفسير المراغي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1.
60. مسلم، د.مصطفى، (1421هـ)، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق، دار القلم، ط3.
61. المظهري، محمد ثناء الله، (1412هـ)، التفسير المظهري، تح: غلام نبي التونسي، الباكستان، مكتبة الرشدية، د/ ط.
62. الملا يوسف، أم د. أكرم عبد الوهاب محمد أمين الموصلي:
- إجازات العراقيين وأسانيدهم، الموصل، منشورات دار النور للعلوم الشرعية والإسناد، دار ابن الأثير للطباعة والنشر/ جامعة الموصل.

- (1405هـ)، الإمداد شرح منظومة الإسناد، الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.
- (1429هـ-2008م.)، نفعي الجامع لشيوخ أكرم عبد الوهاب، الموصل، إصدارات دار النور للعلوم الشرعية والإسناد في الموصل، طبع وتصميم مكتب علاء الدين للحاسبات في الموصل.

63. الموصلي، رشيد الخطيب، (1973م-1393هـ) تفسير القرآن العظيم المسمى " أولى ما قيل في آيات التأويل"، الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.
64. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت338هـ)، (1421هـ)، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط 3.
65. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت710هـ)، (1419هـ -1998م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، بيروت، دار الكلم الطيب، ط1.
66. النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، (1419 هـ -1998م)، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
67. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت 1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: د. يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية.

پوختە

ئەم توێژینەوە جەخت لە سەر کەسایەتیەکی دیاری بەناوبانگی شاری موسڵ دەکات ئەویش مامۆستا مەلا زەنونی بەدرانییە، بەدرانیش ناوێکی ناسراوە لە زانستە شەرعییەکاندا: وەک زانستەکانی قورئان وتەفسیر، مەلا زەنون لەم بارەیەوە کۆششی مەزن وفراوانی هەیە، ئەو هەرچەندە دانراوی نییە؛ بەلام دەتوانین کۆششە زانستیەکانی ببینین لە رێگای قوتابیە ناوداراکانی کە رێگای ئەویان گرتبوو، وە زانستی ئەویان لە هەموو شوێنیک بڵاوکردۆتەوە.

Abstract

This research focuses on a very prominent and famous person of Mosul city. He is Shaikh Al-Malla Thannoon Younis Al-Badrany. Al-Badrany is very well known in legal/ religious interpretation sciences and Holy Qura'n. He has great efforts in this respect. He did not write a book. However, we can see his efforts through his many famous students. Where ever he got many followers who took his way and spread it everywhere.